

محمود قاسم

دار الشروق


سرّ المنامات العجيبة

الطبعـة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

خيـــال × خيـــال

سرّ المتاهات العجيبة

تأليف : محمود قاسـم

دار الشروق

(١)

إجازة إجازة . . كله إجازة . .

وانطلقوا يغنون وهم يغادرون مبنى المدرسة ، وقبل أن يستودعوا بعضهم البعض ، أحس كل منهم أن أمامه شهورا طويلة من اللعب ، واللهو ، والقراءة ، والذهاب إلى الشاطئ . . وأيضا عدم الإحساس بالمسئولية . .

تنهد أحدهم : راحة . . وراحة . . وغدا ستتعب من الراحة . .

قاطعه زميله : أنت سوف تستريح أما نحن . . فأمامنا أسبوع حافل بالعمل . .

نظر الأول إليه ، وقال بدهشة :

ـ ماذا . . هل لديك عمل شاق؟

هز الثانى رأسه ، وقال : طبعا . . ألن تشترك معنا فى المهرجان . . ؟

وبدت الصدمة على وجه الأول . وكأنه يتذكر شيئا بالغ الأهمية ، وتمتم :

ـ يا إلهى . كدت أن أنسى . إنه أمر متعب حقا . .

قال زميله : لكل تعب لذته . . من اليوم سوف نستعد للمهرجان . . سنعمل ، ونتسلى ونبتهج ، والمتفوق سيحصل على جائزة .

تمتم الآخر : إنه أول مهرجان من نوعه . . إذن ، فالإجازة لم تبدأ بعد . .

بكل حماس قال زميله : لا ، بل بدأت فعلا . هل تتصور أن الإجازة نوم . .

رد الآخر : لا . بل لعب .

هتف زميله : ومن قال لك إن المهرجان ليس لعبا . . كل شيء فيه لعب ، واللعب موجود فى كل شيء . . حتى فى الاستذكار . .

بدا كأنه يقول كلاما غير مفهوم . . تمتم ببعض الكلمات غاضبة ، وقال :

ـ أرجوك لى ، لا تذكرنى بالاستذكار . . إجازة سعيدة . .

وراح يلوح بيده لزميله ، وانطلق فى طريقه ، يحلم بالإجازة الطويلة ، وبما سيفعله فيها ، وأخذ يخطط لعشرات الألعاب التى سيقوم بها . . ولم تسعه الفرحة .

أما زميله ، فقد أحس بالضيق ، ود أن يخبره بأشياء كثيرة عن

الإجازات ، وكى يغير من أفكاره السطحية عن مفهوم الإجازة .

قال لنفسه : سوف نبتهج ، ونكسب فى المهرجان . .

ولم يكـن يعرف أن مغـامـرة غير متـوقعة فى انتظـار الجميـع ، وخاصة هؤلاء الذين سيشاركون فى المهرجان ، وما أكثرهـم .

(٢)

بلغ الخلاف فى الـرأى حده أثناء الاجتماع الأخير لحكماء مـدينة الحكايات . وانقسمت الآراء حول الوفـد الذى سوف يتم تشكيله لحضور وقائع المهرجان الذى سيقام فى مدينة « البسمة » خلال أيام قليلة .

قال شهـريار : أنا ملك أسرتنـى شهرزاد بحكايـاتها الجميلة ، وهاهى زوجتى مشغولة الآن بأولادها ، ولا أحد يحكى لى حكايات جديدة . . يجب أن أذهب إلى المدينة ، لأسمع حكايات الناس .

تدخل حكيم المدينة ، وقال :

ـ مشكلتك يا أخ شهريار ، أنك تسمع الحكايات فقط . نريد مواطنا من مدينة الحكايات يروى القصص للناس ، ولايسمعها .

تدخلت « أم الغولة » : أنا . .

ابتسم « حكيـم المدينة » وقـال : شىء غريـب . إنه مهـرجان

للبهجة ، وأنت ستثيرين خوفهم .

بكل ثقة تكلم « سندباد» قائلا : حكاياتى عن الرحلات التى لن تنتهى ستجذب انتباههم .

أحس « حكيم المدينة » بأن « سندباد» قد يكون الشخص المطلوب ، ولكن هذا المهرجان ليس فقط من أجل الحكايات ، ولكنه أيضا يضم كافة الفنون الأخرى .

تذكر فجأة أن مدينتهم تسمى « مدينة الحكايات » ، وأن كل مواطنيها معروفون فى القصص الشهيرة بأنهم يعملون على تسلية الناس ، وخاصة الصغار ، وتعليمهم أفضل السلوك بشكل غير مباشرة . لذا أشار بيده أنه سيتكلم ، راح يدقق فى وجوه الرجال والنساء من حوله . إنهم شخصيات شهيرة فى الحكايات ، وليس مطلوبا منهم الكثير فى هذا المهرجان . . هنا ، قال :

ـ اسمعوا يامواطنى « مدينة الحكيات » لقد ظللنا نروى للناس قصصا طوال قرون طويلة ، وشاركنا فى إمتاع الجميع ، ألم يحن الوقت لنأخذ إجازة . .

هتف « علاء الدين » وهو يغنى : إجازة إجازة . . كله إجازة . .

انطلقت الضحكات فى القاعة ،على الطريقة التى شدا بها

«علاء الدين» الأغنية . وانعكست فى ضحكاتهم رغبة كل منهم فى أن يأخذ إجازة ، ولو قصيرة ، يخرج فيها من الإطار الذى حبسته فيه الظروف .

هنا قال الرجل :

ـ رائع . . إذن سوف نذهب جميعا لحضور حفل الافتتاح . . مارأيكم ؟

بدا القرار عادلا ، وكأنه قد جاء فى وقته تماما . . علت الهتافات تنادى بطول حياة « حكيم المدينة » الذى قرر أن يذهب الجميع إلى مدينة « البسمة » لحضور حفل افتتاح أول مهرجان من نوعه ، والذى حشدت من أجله إمكانات هائلة كى يكون ناجحا .

(٣)

هيهات ! !

هكذا ردد « الشبح الأزرق » وكلماته تنعكس على الشاشة الموجودة على صدره . . وقد بدت حروفها غليظة وكأنها تعبر عن إصراره على التصدى بكل قوة لذلك الحدث الكبير الذى سيقام فى مدينة «البسمة » خلال أيام . .

جاءت كلماته حادة ، وباللـون الأحمر القانى على الشاشة لتشير الحيرة :

ـ لن يقيم أبناء المدينة المهرجان وأنا على قيد الحياة . . مفهوم؟

هز أتباعه رؤوسهم . وهل لأحد منهم الحق فى أن يبدى قبولا ، أو رفضا لأى فكرة يقترحها أو لأى أمر ينطق به . إنه فى غاية الضيق من تلك الأخبار المزعجة التى جاءته عن مدينة « البسمة » التى تنوى إقامة أول مهرجان من نوعه فى بداية موسم الإجازات ، مهرجان « السعادة للجميع » الذى بسوف يشارك فيه أبناء المدينة جميعا ، فى الساحة الشعبية الكبرى التى تتسع لخمسمائة ألف شخص .

راح يطرد من رأسه الأفكار السيئة ، بالنسبة له ، وهو يتخيل الناس فى حالة سعادة وبهجة ، يخرجون إلى الشوارع فى أحلى زينة ، يتبادلون التهاني والابتسامات والعبارات اللطيفة ويضحكون ، أما الأطفال فيحملون البالونات المفضضة ، الغريبة الأشكال التى تنطلق فى الفضاء ، وتعود مرة أخرى متى شاء صاحبها .

هز « الشبح الأزرق» رأسه ، وهو يبعد عن تصوره أن يحدث كل هذا . . تمتم :

ـ لن يحدث طالما أنا حى . .

طلب أحد الأشباح الكلمة ، وهـو أمر نادر الحدوث فى المدينة الزرقاء . ثم وقف ، وبكل أدب وبينما هو ينحنى قال :

ـ إذا كان أبناء « مدينة الحكايات» سينزلون إلى مدينة « البسمة» من أجل المشاركة . فلماذا لاننزل نحن ونفسد المهرجان . .

جاءت صرخة « الشبح الأزرق » حادة على الشـاشة وهو يقول بكل غلظة :

ـ لا . . لا . .

كـان يعرف أن نـزولـه أو أحدا مـن إشبـاح المدينـة الزرقـاء إلى المهرجان يعنى أن يموتوا جميعـا من الحسرة . فكيف لهم أن يندسوا وسـط الناس وهـو يغنون ، ويمـرحون ، إن هـذا كفيل أن يصيبـه بالضمور الفورى . إذن ماذا يفعل ؟ عليه أن يتصرف .

تمتم فى داخله : لن تقوم للمدينة قائمة . .

وظهرت تمتمـة أشبه بشفرات على الشـاشة الـزرقاء . بدا كـأنه يتذكر شخصا ما عليه أن يصفى حساباته معه . وقرر أن يمنعه من الوصول إلى المدينـة ، فلاشك أنه سيحضر هذا المهـرجان . . تمتم قائلا لنفسه :

ـ سوف تكـون هنـاك مفاجـأة مـرعبة لـه عنـدما سيصـل إلى المدينة . .

(٤)

المدينة بـأكملها تستعـد الآن لإنجاح هـذا المهرجـان ، بعد أن انتهى الصغار من أداء امتحاناتهم ، وهاهى الأسر تنوى السفر إلى شاطئ البحر ، أو الصعود إلى قمم الجبال العالية المليئة بالخضرة ، والأشجار من أجل قضاء إجازة سعيدة .

إنها المرة الأولى التى سيقام فيهـا هذا المهرجان . . ففـى صباح يوم الخميس سوف تعلن جميـع المدارس نتائج الامتحـانات ، وفى ظهيرة ذلك اليـوم ، سيأتى المحـافظ إلى الاستـاد الكبير ، لافتتاح أسبـوع السعادة ، والـذى سيتم فيـه اكتشاف الموهـوبين الجدد فى كافة المجـالات . والذين سيحصل كـل منهم على « درع الموهبة » الـذى يعتبر أعلى وسام يمكـن أن يحصـل عليه مـواطـن من أبنـاء المدينة طيلة حياته .

لذا ، فإن الاستعدادات قد بدأت قبل وقت طويل . وراح كل موهوب يتدرب فى مجاله بشكل جـدى ، وصقل موهبته ، بالقراءة والاطـلاع ، ليـس فقط فى مجال مـوهبتـه ، بـل فى كافـة المعـارف الإنسانية .

ورغم أن الجميع كان ينتظر يوم الخميس التاسع من يوليو ببالغ الصبر، فإن الشعـور السائد بمشـابـة منـافسـة حقيقية مـن أجـل


مدينه البسمه

الحصـول على أول درع من دروع الموهبـة . لذا تحولـت المنافسـة فى بعض الأحيان إلى مـايشبه الحرب المرتقبة ، حيث راح كـل مشارك يخفى خططه فى مجالات تفوقه ، وتكتم الكثيرون أسماء الكتب التى يقرؤنها ، أو النصوص التى يحفظون مقاطـع منها ، وكأن ذلك من الأسرار الحربية الخطيرة التى لايمكن البوح بها ، والتى لن تظهر إلا ساعة المواجهة الأخيرة بين الموهبين ، وبين الناس فى ساحة الاستاد العملاق .

لم يكن الأمر سهلا . .

ورغم ذلك فقـد كان مليئا بالمتعة ، فنظرة واحـدة إلى نوافذ أى عمارة، أوبيت فى المدينـة توحـى أن هناك شيئـا مايتـم فى داخله ، شيئا يمكن أن يزيد من مساحات الابتسامة ، والفرحة لدى المدينة التى اختارت لنفسها هذا الاسم الغريب . .

ولذا ، ففـى صباح يوم الخميـس استعد أولياء الأمـور للخروج من منـازلهم فى ساعـة مبكرة ، للـذهاب إلى المدارس ، مـن أجل معـرفة نتـائج الامتحانـات ، وذلك كـى يعودوا بسرعـة من أجـل الاستعداد للتـوجه إلى الاستاد للمشاركـة فى افتتاح المهرجـان الذى سوف يستمر بضعة أيام .

وفى ساعة مبكرة ، بدت المدينة مشرقـة مليئة بالزينة . . وكأنها

فى عيـد حقيقـى . البالـونـات تتطـايـر فى السماء بكافـة الألـوان والأحجام والأشكـال ، وأقواس النصر الصغيرة . تملأ الشـوارع . وقد حـرص الناس أن يـزينوا سيـاراتهم بأوراق مـزركشة تبـدو بهية للعيون . .

وانطلق أولياء الأمور فى هذه الساعة المبكرة إلى مدارس ابنائهم .

ولم يستغرق التعرف على النتيجة وقتا طـويلا . فقد عاد الجميع إلى سياراتهم بعد دقائق قليلة من دخولهم مبنى المدارس .

وانطلقوا عـائدين إلى المنـازل ، وقد ارتسـم على وجوهـم جميعا الأولاد والبنات فى الامتحان . . ؟

(٥)

أصـاب الغم وفـد مـدينة الحكـايـات حينها دخلـوا إلى مدينـة «البسمـة» ، وقرروا سرعـة الخروج منها بعـد أن تـأكدوا تمامـا أنهم أخطئوا الطريق . .

وعند بوابة المدينة المزركشة صاح « حاتم الطائى » :

ـ أبدا ليست هذه مدينة « البسمة » .

أشار « على بابا » إلى اللوحة المعلقة على بوابة المدينة ، وقال :

ـ انظروا . . إنها هى . . نحن لم نخطئ العنوان . .

راحوا جميعا ينظرون إلى اللوحة « ابتسم وأنت فى مدينتا» .

نظـر « حكيم المدينـة » إلى اللوحـة بإمعـان ، ثم فـرك يديـه ، مندهشا ، وتساءل :

ـ لكن ماذا حدث . . ؟

قالت « ذات الهمة » : لايمكن أن يوحى مارأيناه بأننا فى مدينة «البسمة » .

وبطريقته المثيرة للسخرية علق « جحا» أبرز أبناء المدينة :

ـ الظاهر أنها غلطة مطبعية . .

ورغم حساسية الموقف ، فقد أحـس الجميع أن مافعله جحا لم يكـن من الاستهـزاء ولكـن لكسر حدة المفـاجـأة والـدهشة التـى أصابتهـم جميعا حين دخلـوا المدينة وشاهـدوا بها مارأتـه أعينهم ، كان «حكيـم المدينة » قد قـرر أن يرأس بنفسـه وفد مدينتـه فى هذا المهرجان . . لكن من الواضح أن ماشاهدوه لايمكن أن يوحى أن هناك مهـرجانا ، فقـد لاحظ أن هناك شيئين متنـاقضين فى المدينة لايمكنهما أن يلتقيا أبدا . لكنه لم يستطع أن يجد لهما تفسيرا .

قال :

ـ علينـا العودة إلى مـدينتا بكـل سرعة . . وأن نجتمـع لنأخـذ المشورة . . من الواضح أن هناك مؤامرة .

تدخل سندباد قائلا :

ـ ولماذا لانتخذ القرار هنا ، طالما أن الأمر حساس . . ؟

بدت فكرة سندباد عاقلة ، أبدى « حكيم المدينة » استحسانا ، وقال :

ـ حسنا ، سوف نتخذ هنا القرار . . يجب أن نفعل شيئا .

قال شهريار :

ـ بصفتى خبيرا فى الحكايات التى سمعتها من زوجتى شهرزاد . . فلا يوجد سوى « جحا » كى يبعث البهجة إلى قلوب الناس .

ـ هنا تدخل « جحا » وقال ساخرا :

ـ أنا . ماشاء الله . . وهل أستطيع أن أحرك تماثيل جامدة .

هذه المرة لم يضحكوا ، بل كان « جحا » يتكلم بمرارة . فهو لايستطيع أن يفعل شيئا أبدا إزاء ماأصاب المدينة . .

(٦)

عندما دخل الرجل العجوز الموفد من مدينة الحكايات إلى مدينة « البسمة » لم يحس بأى استغراب لما رآه بعينيه . . تمتم بكل حسرة :

ـ بالتأكيد ، لقد مر الشبح الأزرق من هنا . .

كانت المدينة ذات شكل غريب ، وتبدو كأنها واقعة فى تناقض حقيقى . فالأعلام والرايات والزينات المعلقـة توحى بأنه موجود فى أكثر مدن الـدنيا سعادة ، ولكن هذه لايبدو قـط على وجوه الناس الذين يتحركون هنا وهناك ، كأنهم فقدوا شيئا هاما للغاية .

رأى رجـلا عجـوزا مثلـه يستنـد على عكـازه ، ويحاول أن يعبر الطريق ، راح يستند عليه كى يعبر معه ثم قال له :

ـ هذه مدينة سعيدة . . ولديها مهرجان اليوم .

رد الرجل وفى لهجته خشونة بـادية : إنهم أغبياء . . مالزوم كل هذه الأشياء ؟

راح الـرجـل يشير إلى الـزينـات ، وردد : كـل هـذه لافـائدة نها . .

ابتسم العجوز ابتسامة مصطنعة وقال :

ـ إنها أشياء جميلة ، تسر من ينظر إليها . . وتسعده . .

نظر الرجل إلى « العجوز » وكأنـه يندهش من الضحكات التى ق بها وقال :

ـ فى كلماتك ألفاظ غريبة . .

سأله « العجوز » : أنا لم أقل شيئا غريبا . . بل رأيت أن منظر

المدينة يبعث على البهجة . .

قال الرجل الآخر وهو يسحب يده من العجوز :

ـ هذه الكلمة الأخيرة تبدو فى غير موضعها .

لم ينتبه « العجوز » إلى كلام الرجل و إنما راعه صورة طفلة صغيرة فى إعلان تجارى معلق على الجدران وقد أمسكت بيدها مصاصة وبدا على وجهها جمود واضح . . نظر مرة أخرى إلى الإعلان ، ثم إلى الرجل وقال :

ـ أعتقد أننى رأيت وجه هذه الطفلة من قبل .

قال الرجل : إنه هنا دائما . .

رد العجوز : لكنها كانت تضحك . .

قال الرجل : فعلا . . لكنها هكذا أفضل . .

بدهشة ، قال العجوز : غريبة . منظرها وهى تضحك أفضل . .

تمتم الرجل : لا . . هكذا أفضل . .

هنا تأكد العجوز أن جنونا غريبا أصاب المدينة ليس فقط من خلال مايقوله هذا الرجل وليس أيضا فى صورة الطفلة التى فقدت ابتسامتها . ولكن فى كل مايرونه بالمدينة .

هنا تمتم العجوز :

ـ هذه المدينة فقدت شيئا هاما . . خسارة . .

(٧)

قرر العجوز أن يعيد مافقدتـه المدينة بأى ثمن . فبهذه الصورة لـن تقوم للمهـرجان المنتظـر أى قـائمة وسيظـل الناس على هـذه الشاكلة إلى الأبد . .

كان الجمود يكسو الوجوه بطريقة لافتة للنظر ، وكأن عضلات وجوههم غير قادرة بالمرة على الابتسام ، صحيح أن الناس تتكلم ، ولكـن فى صـوتها خشونـة واضحـة ، وليـس هناك أى تنـاغـم فى الصوت ، إنهم أشبه بآلات مبرمجة ، أو بأحجار متكلمة تبدو كأنها خلت تماما من الحياة .

اقترب العجوز من شاب وسيم ، وأطلـق عليه التحية . وبكل خشونة رد الشاب التحية وكأنه يـرميه بحجر ثم إنطلق فى طريقه . تمتم العجوز :

ـ يا إلهى . . كأننى سلبت منه شيئا ! !

أسرع العجوز وراءه ثم قال له :

ـ ياصديقى . . لقد قصدت تحيتك ، حياك الله . .

رد الشاب بنفس الطريقة وبكـل غلظة : حياك الله ياسيد . .

هه . . وماذا بعد .

التفت الشاب إليه وبدا كأنه يضم قبضته كى يستعد ليلكمه بقوة . . تراجع العجوز إلى الخلف حتى يتفادى الضربة الموجهة إليه وقال :

ـ لا . . أنا لا أحب العراك . .

قال الشاب : إذن امض إلى سبيل حالك وإلا حطمت لك فكك . .

وانطلق الشاب فى طريقه ، ولكن العجوز لم يتمكن من أن يغرق فى ذهول . فقد سمع شخصين يتعاركان فى خشونة واضحة ، أسرع نحوهما ، وحاول أن يفك الاشتباك فيما بينهما كان أحدهما قد تمكن من الآخر وغلبه وأسقطه فوق الأرض ، قال المنتصر للعجوز :

ـ ماذا أيها الرجل . لماذا انحشرت بيننا ؟

رد العجوز : أنا لا أحب العراك . .

قال المنتصر : وماذا يهمنى . . هيا اغرب عن وجهى . . وإلا . .

وآثر العجوز أن ينسحب ، وهو يتمتم :

ـ شىء غريب . لم أكن أتصور أن الابتسامة قد راحت من

هنا ، بل حلت الخشونة مكانها والناس يمكنها أن تتعارك بسهولة .

وقـرر الرجـل أن يفعـل شيئا وقـد حيره مـايـراه فى المدينة التـى ارتفعت حدة خشونة أهلها بسرعة ولو تطورت الأمور أكثر من هذا لأصبحت أكثر سـوءا . . حيث يمكن للأسرة الـواحدة أن يتعارك أبناؤها فيما بينهم .

تمتم العجوز : سوف أتصرف . . يجب أن أتصرف . .

(٨)

اقترب منه قزم صغير ، يرتدى ثوبا جميلا يميل إلى اللون الأزرق وقال :

ـ أيها العجوز . نحن نعرفك جيـدا . وأنت الوحيد القادر على إنقاذ المدينة .

انتابت الدهشة العجوز ، فكيف عرف هذا القزم أنه قادر على إنقاذ المدينة . بـل كيف يعرفه وهو مجرد رجل عجـوز لاحول له ولا قوة ، نظـر إليه دون أن تنتـابه الرغبـة فى السؤال ، بـل فى أن يقول مالديه من معلومات . أحس القزم بالارتباك ، وقال :

ـ نعم . اسمى هانى . كان المفروض أن أشترك فى المهرجان . .

هنا قرر العجوز أن يتكلم :



ـ ولماذا لن تشترك فى المهرجان ؟

رد القزم : آه . . يبدو أنك لاتعرف ماحدث بالضبط . . لقد سرقوا شيئا هاما .

سأل العجوز : من اللصوص . . وماذا سرقوا ؟

أجاب القزم : لا أحد يعرف السارق . . ولا أحد يعرف ماذا سرقوا ؟

ببساطة بادية ، قال العجوز وكأنه ينفض يديه : إذن فليست هناك جريمة .

أشار القزم إلى وجه رجل يمر إلى جواره وقال :

ـ لو نظرت إلى هذا الوجه ستلاحظ أن هناك شيئاضائعا .

كان العجوز قد فهم كل شىء ، لكنه أراد أن يعرف من خلال أحد مواطنى المدينة ماهو هذا الشىء . أدرك أن مدينة « البسمة » قد فقدت بسمتها . وأن هذه البسمة مرتبطة بالبهجة التى يحسها كل إنسان فى داخله . وتبعا لهذا الأمر البالغ الخطورة ، فإن المهرجان لن يقام . ولماذا يقام والناس غير مدركة لأهمية البهجة فى حياتها ، وليس هناك باعث لأن تفعل ذلك .

كان كل شىء قد تطور إلى الأسوأ فى المدينة خلال ساعة واحدة من الزمن ، فما إن اختفت البهجة حتى أصاب الناس خشونة ،

وفقد الكثيرون منهم الإحساس بالرحمة والمودة . لذا انتشر الشجار بين الناس لأتفه الأسباب . وامتلأت أقسام الشرطة ببلاغات عن شجارات عنيفة قامت بين المواطنين فى كل مكان . . فى وسائل النقل . والمصالح الحكومية ، وفى الطريق العام ، وأيضا بين أفراد الأسرة الواحدة . ولم يعد أحد يحتمل أن يناقشه آخر فى أى مسألة ، وأحس الكثيرون أن آراءهم هى الصائبة . ولذا احتدمت الصدامات .

الشخص الوحيد الذى راح يتناقش ويتحدث هو هذا القزم الذى قابل العجوز ، والذى بدا كأنه يعرفه جيدا وقال له :

ـ مارأيك أن أذهب معك . . وأساعدك فى استعادة الشىء المسلوب . .

إزدادت الدهشة فى أعماق العجوز ، وأحس أن هذا القزم يعرف عنه الكثير ، ثم تمتم فجأة قائلا لنفسه :

ـ شىء غريب . فملابسه تميل إلى الزرقة . .

(٩)

ـ يجب أن أفعل شيئا أولا هنا . .

هكذا ردد العجوز ، وهو يوجه كلامه إلى القزم ، توجه إلى أحد

المحلات التى تبيع الأجهزة الكهربائية ، فتح تليفزيونا ، فرأى مذيعة تتكلم بخشونة واضحة ، وتبدو ، كأنها غاضبة أشد الغضب ، وهى تذيع نشرة الأخبار ، داس على زر موجة البرنامج الموسيقى فى الراديو ، فانبعثت الموسيقى جميلة ، فجأة سمع صاحب المحل يقول :

ـ أرجوك . أوقف هذه الأصوات المزعجة .

أمسك العجوز الجهاز بيديه، واقترب من الرجل . وقال :

ـ الموسيقى تبعث الراحة فى الأعصاب . .

قال صاحب المحل : بل هناك شىء ما فى أذنك . .

وسرعان ماخرج العجوز، وقرر أن يعثر على أصدقاء يساعدونه فى المدينة . . قال القزم الذى ظل يتبعه :

ـ هل رأيت؟ أنه لم يقدر قيمة الموسيقى . .

وراح يدندن اللحن الذى كان قد ينبعث من الراديو . . التفت إليه العجوز وسأله :

ـ هل مازلت هنا ؟

رد القزم : طبعا . . سوف أرافقك . . أنا وثلاثة من أصدقائى . . فرقة « الأقزام الأربعة الغنائية » .

سأل العجوز : وأين زملاؤك . . علينا أن نرحل بسرعة . . قبل

أن يستفحل الموقف . .

أشـار القزم إلى الـرصيف المقـابـل ، رأى العجوز ثـلاثة أقـزام آخريـن ، يبدو كأنهم جميعـا توائم للقزم الـذى يتبعه كأنـه ظله . أدهشه أنهم راحـوا يبتسمون لـه ، وهم يشيرون له كـأنهم يعرفـونه جيدا . أحـس أن هناك شيئـا وراء هؤلاء الأقـزام خاصـة أن اللون الأزرق غالب فى ملابسهم . ود أن يسأل القزم عن سبب اختيارهم لهذا اللون ، لكنه قـرر ألا يفعل ذلك حتى لايجعـل الشك يتسرب إلى قلوبهم .

أحاطه الأقزام الأربعة وصافحوه . قال :

ـ سوف نرحل حالا . لكن أربعـة أصدقاء غير كافين لمثل هذه الرحلة الغامضة .

قال أحد الأقزام : نحن نعرف الطريق . فلا تقلق . .

تمتم العجوز ، قائلا لنفسه :

ـ رائع . لقد أرسـل « الشبح الأزرق » أربعـة أقزام أغبيـاء . . وسف اتخلص منهم بسهولة . .

أشار إليهم قائلا :

ـ سوف أعود بعد قليل . .

وسرعان ما اختفى . . وعاد بعد دقائق قليلة وفى صحبته غلام

فى الثانية عشرة تقريبا وفتاة فى نفس السن . وقال :

ــ اقدم لكــم « الثنائى السعيــد » هدى ، وهــداية . . ســوف يرحلان معنا .

(١٠)

فرك «الشبــح الأزرق» يديه وهو ينظـر إلى شاشة صغيرة أمــامه يتابع عليها كل ما يحدث فى مدينة « البسمة الضائعة » كما هو حال اسمها الآن ،ثم نطق بكلمات لم تظهر على الشاشة لأنه كان يتكلم إلى نفسه :

ـ رائع يا أزرق . . لقد ابتلع خصمى اللدود الطعم . .

أراد أن يضحك ، لكنه تراجــع ، فهو لايحب الضحك ، ومع ذلك أحس بالارتيــاح الشديد ، فهاهو خصمه الأبــدى قد وقع فى الفــخ الــذى رسمه لــه . وهــؤلاء الأقــزام الأربعــة الذيــن أرسلهــم لتضليله سوف يستدرجون إلى مصيره ، وسينتهى منه للأبد .

وهب الشبــح الأزرق من مكانــه وراح يتحرك فى عصبية وكــأنه يتعجل اللحظات التى سيتمكن فيها من القبض على هذا العجوز وأن يضعه فى الزنزانة الزرقاء التى لايمكن لسجين أن يخرج منها أبدا مهما كانت قوته . . قال لنفسه وكأنه يتحدث إلى الأقزام .

ـ هيـا ياغلمان أخـرجوه بسرعـة من المدينـة وألقوا بـه فى متاهـة الجنون . .

وراح يضحـك بشكــل غـريــب . لم تكـن ضحكتــه أشبـه بضحكات البشر العـاديين ، بل كـانت ذات رنـة غريبـة ، بدت كأنها النـواح ، استعذب هذه الأصوات التـى خرجت منـه ، وهو الذى لاصـوت له بالمرة ، ثـم مد يده إلى سيفـه الأزرق ، ولأول مرة يخرج صوته بعيداً عن الشاشة :

ـ جانت نهايتك أيها النادر . . والنصر دائما للأزرق . .

وانطلقت صرخاته . . نقصد ضحكاته الرنانة .

(١١)

قال العجوز لرفاق الرحلة قبل أن ينطلق الجميع نحو مجهول من أجل البحث عن شىء من الصعب العثور عليه :

ـ هـذه المدينة فقدت البهجـة لعدة أسبـاب . . أولا لأن أعداء المواهــب وقفوا ضــد الموهوبين . ولأن الموهبـة دائما من الله يعطيهـا لبعـض عباده دون الآخـرين ، فـإن عـديمى الموهبـة يغتاظـون ، ويقفون ضد النجاح . .

قال أحد الأقزام :

ـ لكل إنسان موهبته أيها العجوز . .

أكد العجوز على كلام القزم وقال :

ـ طبعا . . ولكن هناك مواهب جماهيرية ، ومواهب أخرى فردية . . فالمطرب لابد أن يطرب ملايين البشر ، والشاعر يلقى قصائده على الناس . . أما الماهر فى تصليح السيارات مثلا فإنه يفعل ذلك فى حدود السيارات التى يقوم بإصلاحها .

سألت هدى : والعلماء ، أليسوا موهوبين .

قال العجوز : هذه مسألة هامة . فاديسون الذى اخترع المصباح الكهربى قد أنار كل بيوت البشرية إلى الأبد . ولكن الغريب هنا أن الناس تتذكر المطرب وهى تسمعه أو المؤلف وهى تقرأ قصته ، ولكنها لاتتذكر اديسون كلما أضاءت الأنوار . .

قال « هداية » : إذن فالفن يختلف . . لأنه يصنع الضحكة والبهجة لدى البشر .

هز العجوز رأسه وأكد كلام « هداية » . فقد اختفت البهجة من المدينة ولكن هذا لم يذهب بمنجزات العلم فى مختلف أمور الحياة ، ولا بما يتعلق بالبهجة . فالموسيقى التى تنطلق من الراديو لم تعد تهز مشاعر المستمعين حتى النكات التى أطلقها العجوز لإضحاك بعض الناس لم تترك أثرها ، بل ظلت الوجوه جامدة

متحجرة ، ومن هنا جاءت خطورة الموقف .

بدت الرحلـة أمرا ضروريا للغايـة ، وخاصة مع اشتـداد موجة العنف فى المدينة . ولذا انطلق العجوز نحو هدفه الذى يبدو كأنه لايعرف بدايته . .

وكيف لأحد أن يعرف اين يمكن للبهجة أن تختفى ! !

(١٢)

قال القزم « جوجو » أول من قابل العجوز :

ـ نحـن نعرف الطريق جيـدا . فالبهجة مـوجودة الآن فى مقبرة الأخلاق الحميدة . .

بدت كلماته غريبة ، سأله :

ـ واين توجد هذه المقبرة . . ؟

حاول القزم أن يلعب دور المرشد الذى يجب إطاعته ، طالما أنه يعرف الطريق . قال وقد بدا متكلفا :

ـ إنها هناك . . خلف الحائل الأسود . .

انتاب « هدى » الانزعاج ، وسألت :

ـ يبدو أنها ستكون رحلة مليئة بالمتاعب . . أفضل أن أنسحب .

حاول العجوز أن يوقفها وقال :

ـ اسمعى ياهدى . انت تخافين من كلمات لامعنى لها .

قال « هداية » كأنه يؤازرها : علينا أن نعود إلى المدينة . ونعيش فى سلام .

قال العجوز كأنه يستفزهما : وهل هناك سلام الآن فى المدينة . . لو تعرفان لأسرعنا بدلا من الثرثرة . وإلا دمر العنف المدينة .

تذكرت « هدى » ذلك المنظر الغريب الذى شهدته يدور بين جيرانها قبل أن تأتى مع العجوز ، فلأول مرة فى حياتها ترى مثل هذا المنظر ولم تكن تتصور أن ترى هؤلاء الجيران الطيبين الذين يتسمون بوداعة طيبة وقد اشتبكوا معا بمثل هذه الوحشية ، لذا .

قالت : سأكون معك فأنا أثق بك . .

كانت تعرف العجوز منذ أن اشتركت مع أخيها « هداية» فى الغناء أثناء المباراة الخارقة التى أقيمت بين فريقى « التفاحة الزرقاء» و«البرقوق الطازج » . وعندما أصابت مدينتها الكآبة التى تسودها الآن ، كان أول شىء راحت تفكر فيه هو العثور على هذا العجوز الذى كان مثار حديث الناس آنذاك . وفجأة وجدته أمامها . قالت :

ـ كنت أفكر فيك .

رد العجوز : وأنا أيضا . . فأنت وأخوك صاحبا موهبة .

وقـرر « الثنائى السعيـد » أن يـذهبا فى رحلـة المخـاطرات مـع العجوز ، لكن فجـأة أحست هدى أن الأمر أصعـب مما تصورت فهـى فى المقام الأول مطـربة ولاتجيـد لغة المغـامرات، أمـا أخوهـا «هـداية» فلا يبدو أشد صلابة منها .

كان أغـرب مافى الموضوع هـو أن العجوز قد قـرر أن يترك قيادة الأمر للقـزم « جوجـو » ،وذلك مـن أجل أن يـذهب الجميـع إلى المقبرة التى دفنت البهجة تحتها .

(١٣)

وبدأت الرحلة . .

ولم تكن طويلة كما يتصور أعضاؤها .

فسرعان ماوصلوا إلى الهدف المنشود . وهناك قالت « هدى» :

ـ أنا لا أحب المقابر . .

قال أخوها : إذا أردتم الموعظة . . فاذهبوا إلى القبور .

أشار « جـوجو» إلى ذلك المبنى الـرخامى الضخم ، الـذى بدا كأن فنانا عظيما قد أفنى حياته فى تصميمه وتشييده ، وقال :

ـ من هنا علينا أن ندخل . .

أحست « هدى » بالانزعاج قال أحد الأقزام مازحا :

ـ لابد أن يدخل المرء هنا يوما . .

وضحك بطريقة أثارت القلق أكثر فى قلبى الفتاة وأخيها . ثم راح يوضح أن هذه المقبرة ليست للموتى وأنها هى باب صغير للدخول إلى المتاهات الخمس الكبرى والتى فى نهايتها يمكن للمرء أن يعثر على أى شىء يريده . .

بدا الأمر شديد التعقيد . فماذا يقصد هذا القزم بالمتاهات الكبرى . . هل هناك وراء هذا البناء الصغير الفخم متاهات كبرى؟ ياله من سؤال بلا إجابة . .

حاول العجوز ألا يكشف عما يساوره من مشاعر وذلك حين راح يهدئ من مخاوف هدى وهداية . وقال :

ـ من يدخل من هذا الباب لابد أن يتوقع أن يشاهد العجائب . .

هنا تمتم « هداية » : وهل هناك عجائب أكبر مما حدث لمدينتنا؟

وانتابته الشجاعة لأن يدخل من البوابة ، وكان بالفعل أول من وضع يده داخل المكان المظلم الذى وجد نفسه فيه ، راح يتلو بعض آيات القرآن الكريم من أجل أن يشتد أزره . وسرعان ما أحس بالراحة ، خاصة بعد أن دخل الأقزام الأربعة وراءه . . ردد

أحدهم :

ـ آه . ما أحلى الظلام . . إنه مملكة لامثيل لها ! !

لكن ما إن دخل العجوز حتى انطلق نور خافت من الحائط ، هنا صاح القزم « جوجو» وقد انتابه غضب :

ــ ماذا فعلت أيها العجوز . . نحن نعرفك جيدا . . أنت ساحر . . ؟

بدا كأن شيئا ماقد تغير بمجرد دخول الجميع من البوابة الرخامية التى انغلقت وراءهم ، وكأنها لن تنفتح ثانية أبدا .

(١٤)

صرخت « هدى» : يا إلهى . أحس اننى لن أخرج من هنا .

ردد « جوجو» : فعلا . حظكما سيئ أن تأتيا مع هذا الرجل الفارس النادر .

سمع الجميع صوتا أجش ، غريب النبرات بشكل ملحوظ ، ووسط هذا الضوء الخافت شاهدوا شيئا أشبه بالشبح ، أزرق اللون . وهو يرفع فى يده علامة الموت ، ويقول وقد تقطعت حروفه :

ـ أيها النادر . . هذه مقبرة للجندى المجهول . . وستكون أول من يدفن فيها . .

وسط هلع الصغيرين ابتسم العجوز وهو ينظر إلى خصمه وقال :

ـ انت تتكلم عندما يكون هناك ظلام . ولذا فعباراتك متقطعة وخائفة . . هأ .

ونطق « ها » بصوت زاعق ، لم يترك خلالها أى فرصة لخصومه أن يلتفتوا حولهم ، وان يبارزوه . فبكل سرعة تحول جسده الضامر النحيل إلى كتلة بشرية تتدفق فيها الدماء والحيوية ، ولمع سيفه الغريب المفلطح فى يده وهو يدور حول نفسه كأنه يستعرض عضلاته ، وأطلق السيف فحيحا قويا كأنه يشق الهواء شقا ، وكأن هذا الهواء سوف تنسال منه الدماء لشدة نصل السيف الذى يخترقه . صاح موجها كلامه إلى الصغيرين :

ـ ابتعدا ياصديقىَّ . . الأمر لن يستغرق طويلا .

وكانت المفاجأة أن الشبح الأزرق قد اختفى وسط الظلام وهو يهدد متوعدا :

ـ لن أقاتلك يانادر . . الأزرق سوف يجعلك تموت من التيه .

أسرع « هداية » نحو أحد الأقزام وأراد أن يعضه فى كتفه ولكن القزم كان قد ولى الهرب خلف زعيمه . .

بدت معركة سريعة ، حسمت بلا أى متاعب . . بينما بدت



هدى وقد تماسكت بقوة ، وقالت بلهجة محايدة :

ـ إذن فأنت الفارس النادر .

قال « هداية » : لقد حبسونا هنا . . كيف سنخرج . . ؟

وقبل أن يسمعا إجابة السؤال تقدم العجوز الذى عاد إلى هيئته مرة أخرى نحو الباب وراح يتفحصه ، حاول أن يفتحه ثم تذكر ماقاله «الشبح الأزرق» إنه سوف يتركه هنا حتى يموت . ردد بكل ثقة :

ـ لكل أزمة مفرج . .

سألت « هدى » : كان كلامه غريبا . . ماذا يقصد بالمتاهات الخمس .

لمعت الفرحة فى وجه « العجوز » ، طرق على يده وقال :

ـ رائع . . لقد وجدت الحل . . المتاهات . .

(١٥)

كان عليه أن يجد طريقه فى المتاهات التى لانهاية لها . وهذه هى المتاهة الأولى ، حيث تبدو أمامه عشرات من الدروب الحجرية داخل مقبرة الجندى المجهول ، وعليه أن يختار واحدا منها ليصل إلى بر الأمان . . تذكر ماقاله خصمه الأزرق أن من يعبر المتاهات

الخمس سينـال مايتمنـاه . . لكن من يمكنـه أن يفعل هـذا . إنه المستحيل بعينه ليس فقط المتاهات كلها ، بل متاهة واحدة . .

فهنـا ، ووراء كل طـريق حجـرى تسكـن المتاعـب والوحـوش الأسطوريـة التى لامثيل لها فى عـالم الخيال الجامح (الفنطـازيا) . كل منها متـأهب لمواجهة أى مغامرة يجرؤ على الاقتراب مـن المتاهة يلتهمه ويشبع جوعه الذى طال طويلا .

أحس العجوز أنه قـد أخطأ التصرف حين قرر ان يستعين بكل من هدى وهداية كى يذهبا معـه إلى هذه الرحلة فالمغامرة صعبة . ونتائجها غير مأمونة ، لكن كـان لابد من أن يشاركه أشخاص من مدينة « البسمـة » مهما كانت المخاطـر . وخاصة أنَّ المدينة تعـانى الآن من متـاعب لاحصر لها . . وقـد اعتاد أن يـرافقه بعـض أبناء المدينـة من الصغـار الذيـن يمثلون أمـلا للبـلاد فى كل مغـامراتـه السابقة .

سألت الصغيرة :

ـ أخبرنا . . ماذا سنفعل ؟

قال وهو ينظر إلى بوابة مقبرة الجندى المجهول :

ـ أفكر أن أحطم هذه البوابة وأن نعود . .

قال هداية : ولماذا لاتدخل المتاهات . .

رد العجوز : الطريق وعر . . والمتاعب فى انتظارنا . .

قالـت هدى : المتـاعب فى انتظارنـا ، خلفنا وأمـامنا . . فماذا يهم . . ؟ من الأفضل أن نتقدم .

رد هداية : المحاولة افضل من التراجع . .

قال العجوز بكل ثبات :

ـ وإذا عزمت . . ؟

ردد الصغيران معا : فتوكل على الله . .

قال : إذن ، فلنتوكل على الله . . ولنصل صلاة الاستخارة . .

كان عليهـم أن يصلوا صلاة الاستخـارة قبل أن يـدخلوا فى أى واحد من هذه الدروب الخطرة التى تخفى وراءها غيبا غامضـا . .

(١٦)

أخـرج يـده مـن جيبـه الصغير ، فكـانـت مليئـة بـالأحـجـار الفوسفـورية المضيئة وتقـدم نحو أحـد الدروب الحجريـة المتعددة وهو يتلو آيـات قرآنية كريمـة ، لم يكن أمامه سـوى أن يذهـب إلى حيث دفعته قدماه . . وقد أمسـك فى يده اليسرى مصباحا خافت الضوء ، يشيع من حوله شيئا من الاطمئنان والسكينة .

تملكـت كلا مـن الصغيريـن مشاعـر متراكبـة من الاطمئنـان

والقلق مـن الإحساس بـالمجهول والأمـان ، فرغـم أنهما فى صحبة العجوز الذى يبـدو وكأنه خبير بأشياء عديـدة ، فإن إحساس أى إنسـان بأن المجهـول دائما غامـض ، ويخبئ وراءه المتـاعب جعـل الشقيقين يشعران بكل هذه المشاعر المتناقضة . .

ويبدو أن العجوز قد أحس بمشاعرهما ، لذا قال :

ـ اسمعـا ياصغيران أعـرف أنكما تحفظان أغـانى كثيرة . . لماذا لانغنى . .

قالـت هدى : هـل نسيت أن مـاحدث أصـاب المدينة كلهـا ونحن أيضا ؟

توقف العجوز فى مكـانه ، كأنه تذكر شيئـا ما ، فقد اعتقد أن هدى وهداية لم يتأثرا كثيرا بما حدث حيث لم يبد عليهما أى ضيق أو عصبية ، ردد :

ـ لكنكما تبدوان لطيفين . .

قـال هـداية : هـل تقصـد العنـف الذى اجتـاح المدينـة . . لاتنسى أننا توءمان ونتصرف كأننا شخص واحد فى جسدين . ثم إننا نتلو القرآن الكريم إذا غضبنا .

زم العجوز شفتيه ، وقبل أن ينطق بكلمة ، سمع الثلاثة زمجرة غريبة ، تنطلق على مقربة منهـم ، كأن وحشا سوف يفترسهم . .

صاح العجوز :

ـ انتبها . . إنه قريب من هنا . .

(١٧)

لم يعرف العجوز أن «الشبح الأزرق» كان فى تلك اللحظات قد تمكن من التسرب داخل دروب المتاهة الحجرية ، ونجح مع أتباعه من الأقزام فى أن يفكوا قيد التنين الصخرى الذى يحرس أكبر درب من هذه الدروب الحجرية ، فانطلق هذا الأخير يزمجر وقد أصابه جنون وشراسة . فهذه هى أول مرة فى كل الأزمنة التى يُفك فيها قيده . .

أخذ يدب بكل قوة فوق الأرض وفجأة سمع شخصا يقول له :

ـ ياعم يامتجهم . هناك رجل عجوز يود سرقة الياقوتة الموقوتة .

لمعت عينا التنين وسط الظلام وراح ينظر إلى القزم الذى حاول أن يحرضه على مهاجمة العجوز ، بدا كأنه يفهم مايقول ، فأخذ يزمجر بشدة وانطلقت زمجرته عبر كافة دروب المتاهة الحجرية التى لايمكن لبشر أن يدخلها وأن يخرج منها ثانية . . فالدروب كثيرة ومتشعبة وكلما عثر المرء على طريق انفتحت متاهات أخرى لامنفذ منها .

بدت زمجرة التنين كأنها إعـلان عما أصابه من غضـب . وسمع العجوز هذا الصوت الغريب ، وتمتم :

ــ هنـاك مخلـوق مـا غـريـب . . لعلـه فى أزمـة . . علينـا أن نساعده . .

قالت هدى : إنه وحش غاضب كما أعتقد . .

رد : لو كان غاضبا فعلينا أن نواجهه .

بدا كأنه يمزح ، إنه يتكلم بكل ثقـة عن مواجهة الـوحش وهو لايملك أى شىء يمكـن أن يصارعه به فى تلبك اللحظات ، كان الصوت يقترب أكثـر وأكثر ، وكـأن التنين عرف طـريقه إليهـم . فجأة مد يـده إلى جيبه الواسع وأخـرج قطعتين من القماش الأبيض ألقاهما نحو التوءمين وقال :

ـ البسا هذه الملابس بسرعة . . فالموقف حساس . .

كان يعـرف أن التنين يمكنه أن يطلـق النيران من فمـه لمسافـة أمتار ، وأنـه يمكن أن يحرق أى شـىء إذا سقطت عليـه النيران . لاحظ التردد على وجهى الصغيرين ، فقال بحزم :

ـ ليس هناك وقت للتفكير . .

اقترب التنين أكثـر ، واشتـد الموقـف ارتبـاكـا . فلـم يعـرف الصغيران ماذا يفعلان بالضبط بالقماش الأبيض هنا ظهر التنين .

كان غريب الشكل لافتا للانظار .

راح يحرك عنقه الطويل ورأسه المدببة يمينا وشمالا كأنه يبحث عن فريسته أو عن هؤلاء الذين تجرأوا على الاقتراب من مملكته .

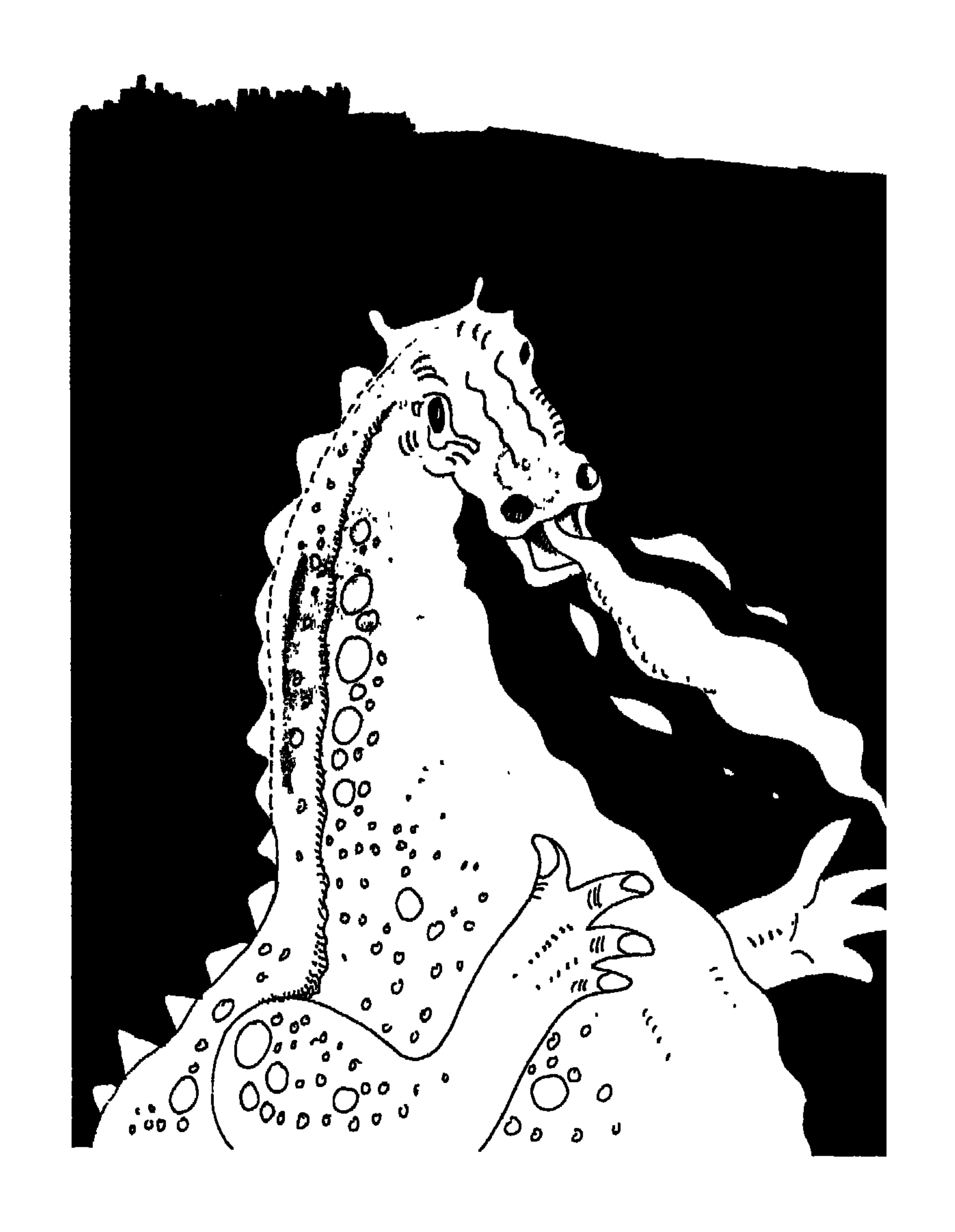
(١٨)

وسرعان مابدأت المواجهة .

اندفعت كتلة من النيران من فتحة عينه الحمراء الضخمة ، فانطلقت نحو العجوز تكاد أن تحرقه ، لولا أن دبت فيه الحيوية فجأة وهو يصرخ : « ولو » . وفى كسور من اللحظات تمكن من أن يقفز نحو سقف الكهف القريب وانطلقت كتلة النيران نحو التوأمين هدى وهداية ، وسرعان ما ارتدت تضرب فى الصخور واخترقتها .

قفز الفارس النادر نحو الأرض وراح يستل سيفه ، وذلك بعد أن تأكد أن قطعتى القماش قد قامتا بحماية الصغيرين من هذه النيران الحارقة التى بدت غريبة الشكل ، والحركة ، فهى تنطلق فى دروب حلزونية كأنها تعرف طريقها جيدا وتتفادى أن تصطدم بأى منهم .

لكن فجأة انطلقت من جديد نحوهم كأنها تود إصابتهم هذه



المرة . واندفعت أولا نحو «الفارس النادر» الذى أمسك سيفه الثقيل بين كلتا يديه ، ثم انهال على كتلة النيران بكل سرعة وقوة ودفعها بعيدا ، فاصطدمت بالجدران الصخرية ، وارتدت مرة أخرى نحو الفارس النادر الذى راح يحرك سيفه بمهارة منقطعة النظير ودفعها نحو الجهة الأخرى من الجدران . . صاحت هدى :

ـ سوف تصيبنا . . وتحرقنا . .

لم يرد الفارس بكلمة واحدة . بدا مشغولا بهذه المواجهة الغريبة ، وقد أدرك أنه أمام خصم لم يسبق له أن واجه مثيلا له فهذه الكتلة النارية تتصرف كأنها كائن حى يفهم ويعى مايفعله فهى تتحرك بسرعة وفى إطار حلزونى حتى لايكاد المرء أن يراها . ويمكنها أن تلسع الهدف ، ثم تولى الفرار كى تصطدم بالجدار الصخرى وتعود ثانية .

تمتم الفارس :

ـ هذه الكتلة تود أن تنهك اعصابنا .

بدا أن الكتلة تعرف ماعليها أن تفعله جيدا ، وبينما المعركة الغريبة تدور ، كان الصغيران يرقبان وقائعها فى خوف وهلع ، أما التنين فقد راح يرقب المعركة وهو يعرف تماما أنها سوف تنتهى لصالحه .

واندفعـت الكتلة النارية نحـو الفارس الذى راح يفكـر بسرعة متناهيـة ، واستطاع أن يتوصل أن هنـاك خطأ ما فيما يحدث أمـامه . . تمتم :

ـ شىء غريب . . هذه ليست كتلة نيران . . سوف نرى . .

(١٩)

تذكر أن النيران لايمكنهـا أن تقترب من المتاهة الصخـرية التى يسكنها هذا التنين ، وتـأكد أن مايدور أمـامه ليس سوى نـوع من خداع البصر . ولـذا راح يوجه سيفه مـرة أخرى نحو الكتلـة التى اندفعت نحوه بقوة خارقة كأنها تود أن تخترق عظامه ، ثم دفع طرف السيف العـريض نحو خصمـه المتمثل فى هذه الكتلـة . وبسرعة شديدة لايكاد للعين أن تراها أدار السيف . وبدا كأنه لاعب ماهر فى البيسبـول فضرب الكتلة النـاريـة بكل عنفـوانـه ودفع بها نحـو التنين .

وانطلقت فى أرجاء المتـاهات الصخرية صرخـة عميقة تردد لها ألف صـدى . فقد عادت الكتلـة إلى قواعـدها مرة أخـرى حيث اخترقت عين التنين التى خرجت منه قبل قليل ، مما دفع بالتنين أن يطلق صرخته المرعبة . . ثم اختفى فجأة . .

بدا كـل شيء إشبه بالحلـم فلم يشاهـد كل من هدى وهـداية سوى باب صخرى يسد المتاهة ، وذلك بعد أن اختفى الوحش .

لم تتمالك هـدى أن تتساءل عما يحدث . أمـا هدايـة فقد تنهـد بعمق شديد وهو يقول :

ـ يا إلهى . لقد مات !!

لم يسمع ردا . فـالفارس النـادر لايزال متحفـزا بشدة لمواجهـة خصمه ، وهاهـو لايزال ممسكا بسيفه الثقيـل يستعد لمواجهة أى رد فعل مفاجئ يصدر عـن التنين الذى اختفى خلف الصخور، بينما توقفت الصرخات فجأة كأنما التنين قد مات .

هنا أطلق تنهيدة وردد :

ـ حمدًا لله . . لعله اختفى . .

أشارت هدى إلى المتاهة الصخرية التى أفسدت فجأة وقالت :

ـ لكن الطريق أصبح مغلقا . .

هنا تنبـه الفارس النادر أن شيئا مـاقد حدث وبـدأ يتساءل عما ـدور من حوله فعلا ، فلاشك أن هناك علاقة مابين اختفاء التنين ـ بين هـذه البوابـة الصخريـة التى ظهـرت فجأة وسـدت دروب المتاهة . ثم راح يفكر فى ما حدث ، وتساءل :

ـ ترى هل مات التنين الصخرى فعلا ؟

كان كل شيء مثيرا للحيرة فكما ظهر التنين بسرعة اختفى بنفس السرعة . . وحاول أن يتذكر وقائع المعركة وتساءل هل ماحدث كان نوعا من الخداع البصرى . .

التفت فجأة نحو هدى وهداية وبدا كأنه وجد الإجابة . .

(٢٠)

قال : إنه تنين « صخرى » . . هل تعرفان ؟

لم يكن هناك وقت ليشرح ماتوصل إليه من تفكير ، فهذه المتاهة الصخرية كل أبنائها من الصخور ونهايتهم دائما فى الصخور ولذا فإن هذا التنين لم يكن أبدا كائنا حيا بقدر ماهو صخرة ضخمة يمكنها أن تتحرك وتتحول كما تشاء .

هنا قرر أن يفعل شيئا ، وقف أمام الصخرة التى كانت قبل قليل تنينا هائلا وقال :

ـ أيها التنين الصخرى . هكذا تعامل ضيوفك . . تسد الطريق فى وجوههم ؟

انتابت الدهشة الصغيرين من الطريقة التى يتكلم بها الفارس النادر الذى بدأ يعود مرة أخرى إلى هيئته كرجل عجوز ينطق بالحكمة . . بدت لهجته خالية من الضعف ، وإن كانت تكسوها

الوداعة والرقة ، فجأة انطلق من خلف الصخور صوت يقول :

ــ متاهتنا مفتوحة للضيوف الذين يعرفون كيف يزرعون الابتسامة على وجوه الناس .

قال العجوز :

ـ آه . لقد فهمت . . فالبعض يسمونك بالوحش المتجهم لأنك لاتضحك أبدا .

جاء صوت التنين من داخل الصخرة :

ـ أنا متجهم ل، لأننى لا أجد أحدا يضحكنى و يبهجنى .

قال العجوز : كى تضحك من اعماقك عليك أولا أن تكون صافى النفس ، وألا يكون لك أعداء أو خصوم .

وبصوت غليظ ، أجش جاء صوت التنين الصخرى :

ـ أنا ليس لى أعداء . . ولا خصوم . . لكن لكل شىء قواعد . . من يمر من هنا يجب أن يضحك . . ألا يكفيكم أنا بوجهى الصخرى المتجهم ؟

هنا حاولت هدى أن تبتسم لكنها لم تنجح فى ذلك فالتكشيرة المرسومة على وجهها ليست من السهل إزالتها . أما أخوها هداية فقد وقف متحجرا كأنه الصخر ، فهو أيضا غير قادر على الضحك ، أو أن يشعر بالبهجة منذ أن ضاعت الفرحة من مدينته

. فجأة برز من بين الصخور نتوء صغير ، أشبه الإصبع راح يشير إلى الأخوين وجاء صوت التنين يقول موجها كلامه إلى العجوز :

ـ انظر إلى صاحبيك . إنهما صغيران . لكنهما لايبتسمان . .

قال العجوز وقد امتلأ بالحماس :

ـ انظرى إليهما ايتها الصخرة العظيمة . ألا ترين أنهما قد جاءا يتحملان المخاطر من أجل استعادة البهجة الضائعة . .

وجاء صوت الصخرة جافا مليئا بالقسوة والغضب :

ـ هذا ليس شأنى . . لن يمر من هنا سوى المبتهجين . .

وأحس العجوز بالحيرة الشديدة ، فعليه إرضاء هذا التنين الصخرى بأى ثمن ، فهو حارس المتاهات الصخرية ولن يدعهم يمرون بسهولة . .

(٢١)

قال العجوز :

ــ أيها التنين . . لقد اتخذت القرار الأصعب . . قررت أن أقاتلك :

وسرعان ما ارتجفت القلوب . . فلاشك أن جنونا أصاب العجوز ، فكيف له أن يقاتل هذا التنين الصخرى الرهيب الذى لم

يتغلب عليه أحد من قبل . سوف يتغلب عليه خصمه بلاشك ، حتى وان استخدم سيفه الخارق ، أو أى سلاح آخر .

هم « هداية » أن يتكلم كى يعدل العجوز عن قراره ، لكن العجوز قال بكل ثقة ، وهو يضع سيفه جانبا :

ـ وساقاتلك بيدىّ وبدون سيف .

فجأة انطلق صوت التنين كأنه صوت انهيار الصخور من فوق الجبل ، وراح يردد ساخرا :

ـ أنت . . مسكين . . أنا لا أحب أن أقاتل شيوخا . . . فعظامهم تتكسر بسهولة .

فجأة انطلق صوت التنين كأنه يئن ، بل يضحك وكأن أحدا يدفعه إلى ذلك . . قال :

ـ لوسمحت . . لاداعى للدغدغة . .

كان صوته مثيرا للدهشة ، فبدا كأنه يقهقه ، فقد نجح «الفارس النادر» أن يحرك أصابعه فى بطن التنين الصخرى ، وأخذ يلفها ، كأنه يدغدغة بالفعل ، أطلق ضحكة عالية انتقل تأثيرها إلى الصغيرين اللذين علتهما الدهشة . وتساءلا :

ـ ماذا هناك ؟

ارتفعت نبرات الضحكة ، وجاء صوت التنين قائلا :

ـ قلـت لك . . لاداعـى للـدغـدغـة . . هأ . . هـأ . . هـأ . . هأ . .

وراح ينطق « هأ » كأنه مصاب بزغطة ، بدا مثيراً للضحك . . نظرت هدى إلى أخيها وأشارت باستغراب :

ـ إنه يضحك . .

وفجأة ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتى « هداية» ، وقال :

ـ فعلا . . إنه يضحك .

ثم بدأت الابتسـامة تكسو شفتي الصغيرة ، والتـى مالبثت أن تحولت إلى ضحكة ، فكشفت عن أسنانها ، وقالت :

ـ ضحكته حلوة . .

ردد « هداية » : فعلا . . وأنت أيضا . . أنت تضحكين . .

واكتشفت هدى أنها تضحك . .

(٢٢)

قال التنين الصخرى للعجوز :

ـ اسمع يـاصديقى . لقد فعلـت بى مالم يتوقعـه أحد . . لقد أضحكتنى .

هتفت « هدى » :

ـ ونحن أنا . . لقد ضحكتنا . .

قال « هداية » : الضحك جميل . . وما أجمل أن يبتهج المرء . .

لم يكن التنين قد توقف حتى الآن عن الضحك ، أشار العجوز إلى الصغيرين ، وقال :

ـ وانتما أيضا ضحكتما . منظركما جميل وأنتما تضحكان . .

أخذ التنين يقهقه ، وقال والضحكات تنسال منه ، وهو الذى لم يذق قط حلاوة الضحك :

ـ أريد أن أضحك طيلة الدهر . .

هنا تنبه العجوز إلى شىء هام ، فقد جاء مع الصغيرين يبحثون عن البهجة ، وليس الضحك هو الدليل الأول للبهجة ، صحيح أن الضحك قد جعل أشكالهم جذابة ، لكن هذا بلاشك ضحك صناعى . تولد بعد أن تمكن من دغدغة التنين . ولذا فإن الرحلة لم تنته . بل لعلها لم تبدأ بعد . وهنا قرر أن يفعل شيئا ، فقال موجها كلامه للتنين :

ـ أيها التنين . . لقد نجحت معك . . فهل تؤدى لى خدمة . . ؟

وبينما التنين لايكف عن القهقهة ، التفتت الصخور التى يشكلها إلى العجوز، وقال :

ـ كل طلباتك مجابة . .

قال العجوز : افتح لنا متاهة البهجة . .

رد التنين وهو لايزال يضحك : آه . . ليس هذا أمرا سهلا . . إنه ليس بيدى .

قالت هدى : نحن مبتهجون . . علينا أن نعود .

لم يجد وقتا كى يشرح لهم ان هناك فرقا بين الضحك العابر ، وبين البهجة ، صحيح أن الابتسامة قد تدل على الفرحة ، لكن لابد لها أن تصدر من قلوب سعيدة ، فعلا . تنبه العجوز إلى كلام التنين ، الذى قال إن الأمر ليس بيده . . فكيف ذلك وهو حارس هذه المتاهة ، وهو الذى يعرف دروبها العديدة ؟ التفت إليه ، وكان لايزال يضحك . . راح يدوس على بطنه الصخرية ، وهو يقهقه :

ـ رائع . . كلما احتجت إلى أن أضحك ، دست على هذا المكان ، ها . . هأ . .

وازدادت ضحكة الصغيرين . هنا سأل العجوز :

ـ أيتها الصخرة الضاحكة . لماذا لاتدلينا على متاهة البهجة . . نريد أن نمر .

رد التنين :

ـ أبدا . . لا أحد يمر إلا إذا فعلتم شيئا خارقا . .

(٢٣)

وامتـلأت الرؤوس بـالحيرة ، فهذا التنين بـدا كأنـه وضع لغـزا غامضا أمامهم . فما هو الشيء الخارق الذى عليهم أن يفعلوه كى يمروا إلى متاهة أخرى؟ يبدو أن الأمر ليس سهلا . سألت هدى :

ـ ماذا ؟

. رد التنين ، وهو يشير إلى شيء ما أسفل قدميه الصخريتين .

ـ الشفـاه تضحك . . لكن المهـم القلب . . لو ابتهجـت من قلبى فسوف يضاء المصباح الأخضر .

ووقع الثلاثة فى حيرة ، فكيف يمكن أن يتم ذلك ، هل يروى نكتة ؟ لا ، فالنكتة سرعان مايزول تأثيرها ، وربما إنها ستبدو آثارها على شفتيه ، وليـس فى أعماق التنين . هنا فكـر العجوز بسرعـة ، وبسرعة أخرج شيئا أشبه بالميكرفون من حقيبته القماشية واقترب من التنين ، وبحركـة تمثيلية ، بـدا كأنـه مذيـع شاب فى الثـلاثين من عمره ، وصاح موجهًا كلامه إلى الميكرفون :

ـ أعزائى المستمعين . الآن ، نحن فى متاهة التنين الصخرى . ويسعدنا أن نسأله ، أهلا سيادة التنين . نحن نعرف أنك مستمع

جيد . وبمناسبة برنامج « اغنيتك المفضلة»، ماذا تود أن تسمع؟

راح التنين يـزم صـوتـه ، كـأنه يخرج حشرجـة صخـريـة مـن حنجرته، ثم قال ، وكأنه يقوم بأداء مسرحية هزلية :

ـ احـم . . احـم . . أنا بصراحـة . . اصلى فى الواقع . . قل لى . . ماذا لديكم بالضبط ؟

هنـا لم يستطـع الصغيران هدى وهـدايـة ان يكتما نفسيهما مـن الرغبـة فى الضحك ، فهذا هـو التنين يحاول أن يبدو ممازحـا . أما العجوز ، فقد أثبت أنه ممثل ماهر . وقال :

ـ لدينا «كازوزة» . .

ورفـع التنين الصخـرى رأسـه إلى أعلى ، كـأنـه يتجـرع الميـاه الغازية، وقال :

ـ لا ، أنا لا أحبها . إنها توجع لى بطنى .

قال العجوز : وفيشار . .

وامتعض التنين ، وأمسك بطنه الحجرية ، وقال :

ـ قد يكون طعمه لذيذا ، لكنه ينفخ لى معدتى . .

هنا كان الصغيران قد انفجرا فى الضحـك ، على الطريقة التى يتكلم بها التنين الصخـرى ، كانـت حجارتـه تتلوى ، كـأن بطنه توجعه بالفعل ، وراحت أعضاؤه تنثنى . بينما علا الضحك الذى

سرعان ما انتقل إلى التنين الذى توقف عن التمثيل وقال :

ـ مارأيكم ؟

قال العجوز ، وهو ينظر إلى أقدام الحيوان الكثيرة :

ـ انظر . . الضوء الأخضر . .

(٢٤)

لا ، لم تنته المغامرة بعد . . بل لعلها لم تبدأ . . فرغم أن التنين الصخرى قد نجح فى أن يعيد الضحكة الحقيقية إلى الصغيرين ، ذه الضحكة التى ارتدت بسرعة إلى التنين نفسه ، فان الرحلة ـانت طويلة . . ولم يكن أمام التنين سوى أن يفتح الدروب سرية من المتاهة الصخرية كى يصلوا إلى متاهة أخرى أشد خطورة ، والسير فيها أكثر غموضا .

وقف التنين عند طرف المتاهة الصخرية يستودع الرفاق الثلاثة . وقال :

ـ شكرا لكم . . لقد قضيت معكم وقتا ممتعا . . لاتنسوا أن تدعونى لحضور الحفل الكبير . .

قالت هدى :

ـ طبعا . . فور أن نعيد البهجة كاملة من المتاهات البعيدة . .

ثم جاء الـوداع . . راح الجميع يلوح بأيـديه وقد ملأتـه مشاعر مودة عميقة . . أرادت هدى أن تبكى لكن العجوز سرعان ماقال :

ـ لاتبكى . . وإلا فسد ما انجزناه . .

وما إن اختفى الرفاق حتـى استعد التنين للعودة إلى المتاهة . . وفجأة رآه أمامه ، بدا غاضبا وهو يفـرد عباءته الزرقاء بينما أحاط به ثلاثة من رجـالة الأقزام الذين أمسك كل منهـم بمسدس له أربع فوهات يمكنها أن تطلق الرصـاص المدمر فى أى لحظة ، قال أحد الأقزام : .

ـ أيتها الصخرة الجامدة . لقد ساعدتهم . .

اشتد بهم الغيـظ أكثر ، إن التنين كـان لايزال يضحـك . ردد والقهقهة تملأ فمه :

ـ أهلا . . بالوجوه الزرقاء . . هل سمعتم آخر نكتة ؟

رفع القزم الثانى المسدس نحو التنين الذى لم يهتم كثيرا بما يدور أمامه . وقال :

ـ لقد خدعوك . .

حاول التنين أن يـزيحهم بيـديه الصخـريتين القويتين ، وقـال بلهجة تمزج بين المزاح واللهو :

ـ بل أنتم الذين خدعتمونى . . كنت أتصور أن التكشيرة شىء

مفيد . . لكن أبدا .

هنا بدأ الشبح الأزرق لأول مرة ، وجاءت كلماته على الشاشة التى وضعها هذه المرة حول بطنه :

ـ آه . . يامتجهم ! !

كاد التنين أن يحس بالغيظ . لكنه تذكر أن الابتسامة افضل ، وأن ثمنها أرخص ، وطعمها ألذ . وبكل ما اكتسب من خفة ظل ، ومن قدرة على التمثيل ، قال محاولا إغاظة «الشبح الأزرق» :

ـ اطلع . . يا«أزرق» . .

ثم سكت ، وقال قبل أن يدفعهم ، ويعود إلى متاهته التى لا حدود لها :

ـ لو كنت أزرق « صحيح» ، الحق بهم هناك . . آه . . ياويلك ! !

قال القزم الثالث :

ـ اطمئن . لنا هناك أصدقاء مخلصون . .

(٢٥)

إنها اغرب متاهة عرفتها الحكايات . .

إنها متاهة الآبار الأبدية . . لها بوابة واحدة ، هى البئر الأول

الذى إذا نـزل فيه شخص سرعـان مايتـوه ولايعود أبدا إلى الطـريق الذى جاء منه .

وقف الثـلاثة عند طـرف البئر الأول . وقد أصـابتهم الحيرة . فترى إلى اين يؤدى الطريق الغامض .

قال هداية : شكله مخيف .

رد العجوز : لو خاف المرء ما انطلق . . علينا أن نسعى . .

ردت هـدى : فعـلا . . علينا أن نسعـى وليـس علينـا إدراك النجاح . .

بدأوا يشعرون أن هناك سباقا مـع الزمن ، وأن عليهم أن يغلبوا أى تردد أو خوف ، لذا سرعان ما أخرج العجوز خطافا من حقيبته القماشية وراح يثبتها فى طرف البئر ، وقال :

ـ سوف أنزل . . وبعد قليل الحقا بى . .

ود هداية أن يسـأله لماذا لايتحول إلى الفارس النـادر وهو مقبل على مثل هذه المخاطرة المثيرة ، لكنه فكر أن العجوز فعل ذلك من أجل أن يبث فيهما الشجاعة ليقتديا بـه ، فإذا كان العجوز قد فعل ذلك ، وهو الواهن العظم فلماذا لا يحذو الصغيران حذوه .

بدت كـأن الحمية استبـدت به ، شبـك المخطاف فى أطـراف البئر. ثم لوح للصغيرين بيديه وهو يبتسم قبل أن ينزلق إلى الأغوار

السحيقة . كـان قد أعد نفسـه لهذه المغامرة فـالبئر أشبه بمتـاهة غريبة الشكل ، فعندما نـزل فيه العجوز لم يكن يتسع إلا لشخص نحيل ، يمكنه أن يمرق منه بصعوبة ، وما إن يخرج من هذا المكان الضيـق الذى يبـدو كعنـق الزجـاجة ، حتـى تبـدأ فتحة البئـر فى الاتساع شيئـا فشيئا ، حتى تبـدو كأنها هـوة واسعة لا أعماق لها ، ولانهاية . .

لم يحس العجوز بأى انزعاج حينما وجد نفسه فى الهوة ، وردد :

ـ هكذا حال المتاهات .

فجأة انطلق صوته فى تلك الأغوار الغريبة ، أحس بالانزعاج ، فهذا الصـدى لم يكن لصوت مسموع فهـو لم يتكلم والكلمات . لم تخرج من أعماقـه . راح يفكر فى أى مكان هـو . فالصـدى ينطلق عـادة من صـوت تردد فى مسـاحـة واسعة ، تبـدو فيها الموجـات لصوتية كأنها اصطدمت بحاجـز صخرى ، ثم تعود مرة أخرى ، ند ارتفعت . لكن الصدى هـذه المرة لم يكن رد فعل لصوت ، بل ا تردد فى داخله .

فجأة سمـع صوتا جهوريـا عاليا يتردد فى أنحاء المكـان ، وقد امتلأ بمهابة وتهديد :

ـ أيها الفـارس النادر . . نحـن هنا فى متـاهات الآبـار لانقتل



أحدا . . . ولكننا سوف نصيبك إلى الأبد بالصمم .

(٢٦)

وفوجئت هدى بعد أن اخترقت عنق البئر الضيق بتلك الهوة الشاسعة ، فارتبكت ، وأصابها خوف شديد ، وانفلتت يداها من الحبل الذى تعلقت به فطارت فى الهواء ، وكادت أن تسقط إلى مالانهاية ، وإلى لاطريق . انطلقت تصرخ وتردد صدى صراخها فى المتاهة الضخمة ، وكاد أن يصم أذنى العجوز ، الذى رآها وقد تعلقت فجأة من خلال المخطاف الذى التف حول بطنها . تنهد . وقال لنفسه .

ـ الحمد لله . . إنها ربطت المخطاف .

وسرعان ماتردد صدى جملته فى المتاهة الغريبة ،كان الصدى عاليا ، تسلل بقوة إلى أذنى العجوز رغم أنه وضع أصابعه فى فتحتى أذنيه لكن بلا جدوى .

سمع الصغيرة تقول :

ـ أيها العجوز . أكاد أن أهلك . .

رد العجوز محاولا أن يتحدى الصدى المرعب الذى يحيط بهما :

ـ تماسكى . . فلا أحد يموت هنا . .

وسرعان ماختلطت الأصوات ، خاصة أن « هداية» قد نجح فى أن يتسلل إلى نفس المكان مرة أخرى ، بدا الثلاثة معلقين فى الأحبال البعيدة ، وسط هذه الهوة التى لانهاية لأعماقها ولا حدودلأبعادها .

راح العجوز يفكر فى شىء وهو يحاول ألا يخرج أفكاره إلى حدود لسانه حتى لاتنطلق أفكاره إلى المارد الأصم الذى يحرس متاهة البئر. وسرعان ماتوصل إلى فكرة رائعة وسط هذا الخليط الغريب من رجع الصدى الذى بدأ يحدث أثره . . سرعان ماقال :.

ـ هدى . . غنى بصوتك الجميل . .

لم تتمكن هدى من ترديد وسط رجع صدى ،الجملة التى رددها العجوز ، وقبل أن تعبر عن عدم قدرتها قال :

ـ حاولى . .

وتعمد أن تكون كلمته ذات أثر جذاب عليها ،وجاء صداها مجسدا، مؤثرا ، بدا كأنه يبث فيها الحماس ، وأن تجرب ، وأن الظروف التى يمرون بها قد تدفعها إلى ذلك ، فالحاجة هى أم الابتكار . ردد من جديد :

ـ حاولى . . أرجوك . .

وكانت كلماته مؤثرة ، وبدا صداها مثيرا ، ارتجفت ، حاولت

أن تفعل شيئا ، لكنها أحست بالعجز ، وفجأة انفجرت فى البكاء .

(٢٧)

وتردد صدى البكاء فى المكان . . لكن العجوز نظر إليها وهم - الثـلاثة ـــ معلقون والاحـزمة على بطـونهم . وابتسم كـأنه يعطيهـا الحماس . فتحت فمها . هز رأسه كـى يشجعها ، ثم بدأت تشدو بصوت جميل لامثيل له بين الأطفال :

يابلادى يابلادى

فداك بكل حياتى

ارتجفت الكلمات لكنها كانت جميلـة وعذبة الصوت ، انطلقت فى أنحـاء المتاهـة البعيدة الحدود ، وسرعـان مـا ارتدت كـأنها تملأ الكون بالشجن والبهجة ، تملكت مـن شغاف قلب العجوز الذى أشار لها أن تتوقف بسرعة عن الغناء . .

لكـن هدى أرادت أن تستكمـل . إلا أن العجوز كـان حازمـا حيث أشار لها مرة ثانية أن تصمت . . ففعلت ما ·مرها به .

وساد صمت رهيب فى المكان .

وراحت عيون الأصدقاء الثلاثة تتبادل الدهشة . وجاء صوت أجش من أعماق البئر يهدد فى خشونة :

ـ لماذا توقفت أيتها . ؟

ولمعت العيون من الدهشة ، فمن الواضح أن المارد الأصم قد سمع هذا الصوت الجميل ، وهو الذى حكمت عليه ملكة المتاهات أن تنسد أذنيه إلى الأبد ، حتى يأتى شخص له صوت جميل ، إذا تردد فى أعماق المتاهة ، فإنه يمكنه أن يفقد صممه الذى تملك منه ، وأن يسمع من جديد ، لكن من أين له أن تأتى حاسة السمع . تمتم بصوت لم يعقبه صدى :

ـ صوتك جميل . . يافتاة . .

ولأول مرة لم يعقب الصوت صدى . بل خرج من أعماق المارد الأصم نقيا ، سأل العجوز :

ـ هل تريد ان تسمع صوتا آخر جميلا ؟

وعلى الفور رد المارد :

ـ ياليت . . ! !

ثم تمتم : سوف يساعد هذا فى فك الغضب الذى حل على المتاهة . .

وأشار العجوز لهداية أن يغنى بصوته الجميل واستعدت المتاهة كلها لسماع صوته ، لكن كانت هناك مفاجأة . .

(٢٨)

لم تنجح الكلمات المنشودة أن تخرج من أعماق « هـداية » الذى يملك صـوتا بللـوريا ، وهو المعـروف فى مدينتـه باسـم «الكروان الذهبى» . امسك حنجرته وكأنـه يريد إخراج الكلمات ، نظر إليه العجـوز فى دهشة وراح يحثـه أن يفعل . لكنـه قـال ، وهو يكـاد يختنق :

ـ لا أستطيع . . أنا آسف . .

هنا تدخلت أخته ، وقالت :

ـ حاول . . أن تغنى معى . .

وراحت تغنى :

ورد الربيع . . ورد الربيع

حلو وبديع . . ورد الربيع .

كانت مليئة بالحماس ، وعلا صـوتها فى المتاهة ، فغلـب صوت لصدى المزعـج الذى اختفى للأبـد من البئر ، وحل محلـه صدى تديد ، ذو أثـر جميل . . إنها الأغنية ، التى كـم شدا بها الأخوان ـعـا فى حفـلات النـادى الخيريـة ، وأيضـا فى حفـل المدرسـة فى منتصف العام ، راح هداية يتذكر كيف كان التصفيق فى الحفل ، ثم بدأت شفتاه فى التحرك . . ببطء أولا ثم بكل حماس . .

ورد الربيع . . حلو وبديع . .

لمعت عينا العجوز ، وهو يشاهد المارد الأصم يظهر لأول مرة ، بعد أن كان صوته يملأ البئر ، كان غريب الشكل ، فهو دميم بطريقة ملحوظة ، وليس فى وجهه سوى شعرة واحدة تتدلى أسفل أنفه ، تبدو طويلة وهى تهتز تحت تأثير الهواء الذى انطلق من فمه وهو يشارك فى الغناء .

كانت لحظات رائعة . .

هنا هتف « هداية » :

ـ يا إلهى . أحس كأننى أقف على قدمى .

ردد المارد الأصم : بل أنتم تقفون فعلا على أقدامكم . . طالما أننى أشعر بالبهجة .

كان هذا موقفا غريبا ، فرغم انهم فى هذه المتاهة التى بلا نهاية أو حدود وقد ربطوا الأحزمة حول بطونهم ، فقد أحسوا بأنهم يدوسون فوق الأرض . .

فى تلك اللحظات ، سقطت الأحبال من أعلى . . وهوت إلى الأعماق وكادت أن تشد معها الصغيرين ، لكن العجوز صاح قائلا :

ـ انزعا الأحزمة من فوق بطنيكما . .

وسرعان مافعلا . . وكادت هدى أن تهوى إلى الأعماق مرة أخرى رغم إحساسها أنها تقف فوق أرض صلبة ، تطلع المارد إلى أعلى وقال :

ـ أحس أن أحدا فك الأحبال من أعلى . .

(٢٩)

لم يقم أحد بهذا العمل سوى الأقزام الثلاثة ، اتباع الشبح الأزرق ، الذين جاءوا بصحبة زعيمهم ، وراحوا يفكون أطراف الأحبال من عند أعلى البئر ، كانوا على ثقة تامة أنهم لو فعلوا ذلك فسوف يهوى العجوز ورفيقاه إلى أغوار سحيقة ، وستهوى أجسادهم إلى المجهول طوال عام بأكمله قبل أن ترتطم بأى شىء صلب . .

لكن الصدفة وحدها أنقذتهم من هذا الخطر المحدق . فما إن سمع التنين الأصم صوت الثنائى الغنائى الصداح ، حتى سرى النغم إلى داخل أذنه الضيقة ، وسرعان مادبت الحياة فى الخلايا الصماء التى بدت كأنها استيقظت على شدو أجمل من شدو البلابل . .

ولأن التنين الأصم أصبح كائنا بينهما ، فقد استطاع أن يمارس

قوتـه وسـحره ، وجعل متـاهة البئـر أشبه بأرض صلبـة يمكن لمن يدوس عليها أن يمشي كأنه ليس معلقا فى الفراغ .

اقترب العجوز من التنين الدميم ، ومد له يده وقال :

ـ تسعدنى صداقتك ياعم يامارد . .

قال المارد : وأنا شخصيـا أتمنى لو احتفظ بهذيـن التوأمين كى يغنيا لى طوال فترة وحدتى فى هذه المتاهات .

هتف « هداية » ، وقد انتابه حماس زائد :

ـ هل تريد أن أغنى لك . . هيا ياهدى . .

وانتعـش المارد ، لأنه سيسمـع هذيـن الصوتين الشجيين مـرة أخرى . وانتابـت الحمية الشقيقين ، فانطلقا يغنيان مـن جديد ، وسرعان مـاتحول البئر إلى فضـاء جميل تتردد فيـه أحلى الأصوات ، لكن بـلا صدى ، وأخـذ المارد الأصم (سـابقا) يهز رأسـه ، وقد أغلق عينيه ، وتمايل ذات اليمين وذات اليسار ، بينما راح العجوز يفكـر فى الخروج مـن هـذا المأزق الجديـد الـذى وضعـه فيـه هـذا المارد . .

تساءل :

ـ ياربى . . إنه يريد أن يحتفـظ بالصغيرين هنا . . ترى كيف أقنعه بغير بذلك .

هنـا انتهت الأغنيـة ، ولكن المارد لم يكـف عن هـز رأسه مـن النشوة . ولم يحاول أن يفتح عينيه ، فقد كـان كل شيء يبعث على الفرحة والبهجة . هنا همس العجوز فى آذان الصغيرين :

ـ هيا بنا . . سوف نهرب . . إنها الفرصة الوحيدة . .

همست هدى : لكنه سيغضب لو هربنا . .

قال هداية : ليس أمامنا سوى هذا . .

واستعد الثـلاثة للهـرب . . وهنا توقـف المارد عن هـز رأسه ، وفتح عينيه ، ورآهم يستعدون للفرار . .

(٣٠)

صاح المارد :

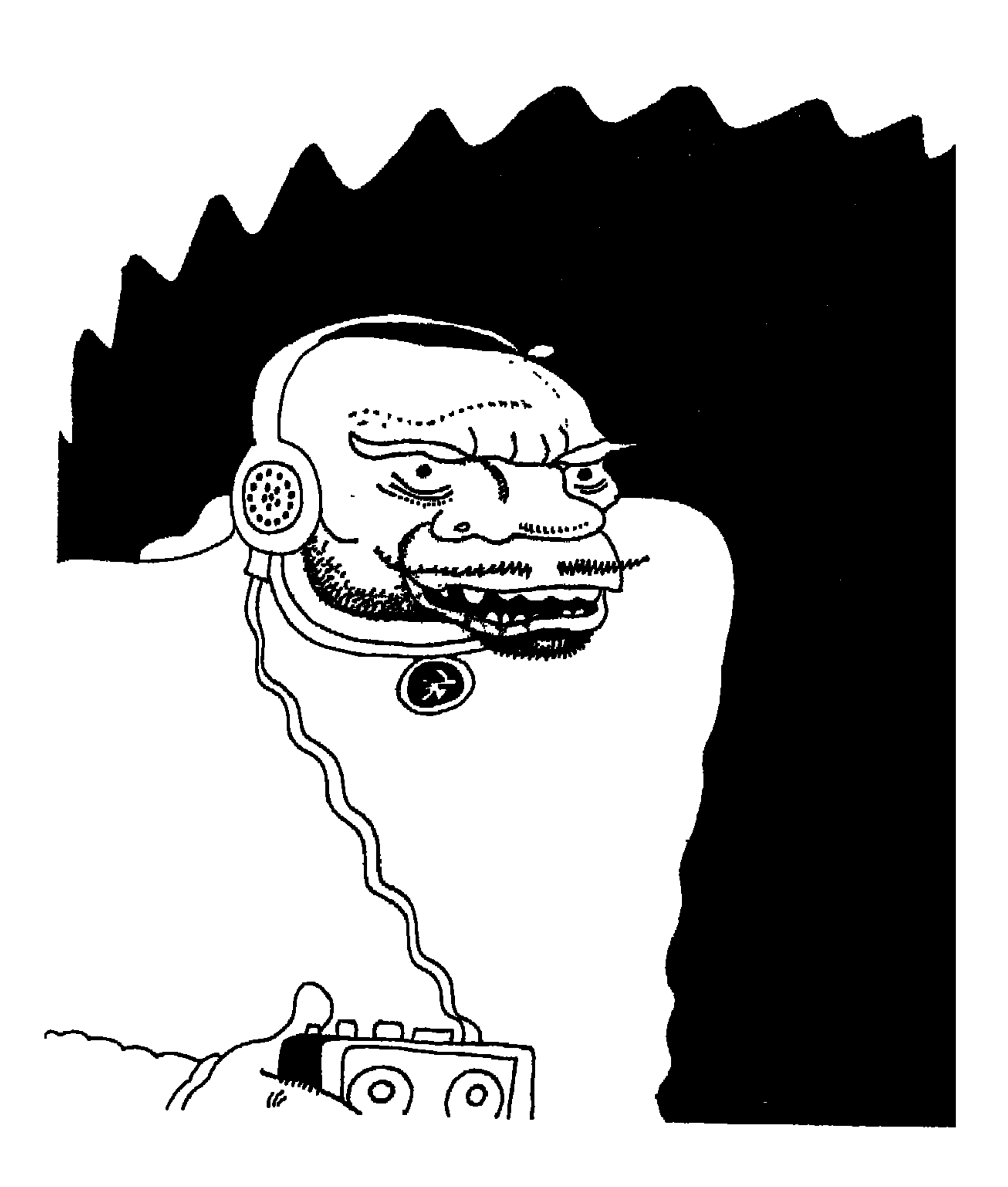
ـ إلى أين أيها الأصدقاء؟

التفت إليه العجـوز وقال وهو يبتسم : كنـا نحاول أن نستطلع المكان . .

ارتسم غضب على وجه المارد ، وقال :

ـ لا . . قل الصدق من فضلك . .

أحـس العجوز بـالحرج ، فقد اضطـر أن يكذب ، وشعـر أن مافعله ضد مبادئه ، مهما كان الثمن ، لذا أكمل :



ـ كنا نحاول أن نستطلع المكان لنهرب . . إلى منابع البهجة . .

وانتاب المارد نوع من الأسى ، وكان عليه أن يصدق العجوز لكن هذين الصغيرين يودان مغادرة البئر إلى مكان آخر وسوف يتركانه وحيدا ، إذن ماذا يفعل ، ليس أمامه سوى أن يحتفظ بهما معهما كانت الأسباب . .

قال :

ـ معذرة . . ليس أمامي خيار . . لقد انتهى الصدى . . وفقدت الصمم . . أنتم السبب . . وذنبكم على جنبكم . .

وبدت الأحداث كأنها سوف تتصاعد مرة أخرى ، وأن مواجهة حقيقية سوف تحدث بين العجوز والمارد . . راح يتحسس بين ملابسه ، كأنه يفتش عن سيف الفارس النادر . . لكنه تذكر أن السيف لن ينفع فى مثل هذه الظروف . . لذا فكر فى شىء واحد . . فى مخلاه .

هتف : وجدت حلا . . خذ هذه . .

ومد يده للمارد بجهاز غريب الشكل . وبعلبة مليئة بالشرائط وقال :

ـ هذه تنفعك كثيرا . .

وراح يضع السماعة على أذنى المارد فانطلقت الأغنيات الجميلة

من داخلها . . هنا سحب العجوز السماعة وقال :

ـ مارأيك ؟

رد المارد : رائع . . اعطنى اياها . .

قال العجوز : سوف أعطيك هذا الجهاز . . وهذه الشرائط . كل شريط مدته مائة ساعـة . . لديك مائة شريط . . يمكنك ان تسمعها . . لكن بشرط . .

قال المارد : أنا لا أحـب الشروط . . ولكننى اعرف ماتـريدون . . فقط اعطنى السماعة . . سوف أرافقكم حتى أبواب المتاهة . . هه ؟

قال العجوز : نريد أن نذهب إلى المتاهة المائية . .

ارتجف المارد وقال :

ـ إنها خطرة . . بل شديدة الخطورة . . أنا شخصيا لا أستطيع الاقتراب منها . . فهنا حدود متاهتى . .

وبدا العجوز مصرا فى أن يرافقه المارد إلى أطراف المتاهة المائية .

(٣١)

استعد «الشبح الأزرق» للاحتفال باهـم حدث فى حياته ، بل وفى مملكته الزرقاء فقد تمكن وبسهولة غير متوقعة ، أن يتخلص من

منـافسـه الأكبر «الفـارس النـادر» . وهـاهـو الآن فى طـريقـه إلى الاحتفـال المهيب الـذى سيشهده بنفسـه مـن أجل هـذه المناسبـة الرائعة .

لكن فجأة وهو ينطلق فوق جواده الأزرق نحو منصة الاحتفال جاءته الأخبـار البالغة السوء أن الفارس النـادر لم يصب بأذى وأن المارد الأصم قد أصابته حالـة غريبة ، فهو يضع على رأسه سماعتين كبيرتين ويمسك جهـازا بيديه ولايتوقـف عن الاهتزاز طيلة الـوقت بعد أن قام بتوصيل العجوز ورفيقيه إلى حدود متاهة الآبار .

انطلقت الأشعـة الحمراء من عينى «الشبـح الأزرق» معبرة عن غضب شديد استبد بـه وضرب الأرض بقدمه ، ولم ينطق بكلمة . وسرعان ماوجه جواده إلى قصره مرة أخرى كى يضع خططه الشريرة للتخلص من منافسه الأبدى . .

أحس أن الهزيمة التـى لحقت به لاتعادلها هـزيمة فى أى مكان بالعـالم . وقرر الانتقام بأى ثمـن . وسرعان مادعا أتبـاعه وخبراءه من أجل الحضور لمشاركته فى إعداد أكبر خطة حربية للتخلص من «الفارس النادر» عقب وصوله إلى المتاهة المائية .

وأمام شـاشة ضخمـة ظهرت خريطـة عملاقـة للمتاهـة التى وصلها الآن العجوز ، ورفيقاه ، وراح الشبح يتطلع إلى معالم المتاهة بكل انتباه . .

رأى حيوانـات ضخمة يعـود زمنها إلى مـاقبل التـاريخ البشرى وأيضـا حيوانـات أسطـورية لاتـوجد سـوى فى حكـايات الخيـال الجامح (الفنطازيا) . إنه يعرف أن هـذه الحيوانات قد هربت إلى دروب هذه المتاهة مـن مطاردة الإنسان لها ، بعد أن اخترع ادوات التدمير، واسلحـة القتل الجماعية . فـراح يصوبها نحو بنـى جنسه من البشر ، وأيضـا نحو سلالات هذه الحيـوانات وسلالتهـا التى تسللت إلى هذا المكان البعيد ، حـانقة على الإنسان ، ومنتظرة أى فرصة للانتقام .

هنا انتاب «الشبح الأزرق» ارتياح ملحوظ وقرر ألا يدخل هذه المعركة ، فى المواجهة المنتظرة بين وحـوش المتاهة المائية الشرسة وبين «الفارس النادر» ورفيقيه . .

فرك يديه من النشوة بقرب الانتصار وقال :

ـ سوف نرى . . بعد ساعات قليلة . .

(٣٢)

وقف العجوز ورفيقاه عند أطـراف الجبل الذى يؤدى إلى دروب المتاهة المائيـة ، وقد أحس أنه أمـام مجهول غامض ، فهـذه متاهة تختلف فى شكلها ، والحياة فيها عما سبق ان مر به من متاهات . .

بل إن ساكنى هذا المكان يكنون كراهية شديدة للبشر . ولذا سوف تكون المواجهة بالغة الخطورة .

سأل العجوز ، وهو يفرد قاربا صغيرا يستعد للإبحار به :

ـ هل تجيدان السباحة فى مثل هذه البحار ؟

ردت هدى : أجل . . لكن بقدر .

ولكن فجأة بدأت الأحداث المثيرة ، وعلى غير توقع فقد اكفهرت السماء واندفعت الرياح تصفر بقوة ، وانقلبت الأمواج العالية فوق بعضها ، وتحول القارب إلى كرة صغيرة تتقاذفها المياه والريح ، ولم يكن أمام العجوز سوى أن يتصدى لهذه المخاطرة العاتية .

وقف أمام مقدمة القارب ، وراح يبتهل إلى الله وهو يرفع يديه إلى أعلى ، كأنه يواجه الريح بأصابعه التى دبت فيها دماء الشباب بينما انطلقت عباءته البيضاء من خلفه ، وتطاير حول الصغيرين اللذين ارتجفت مشاعرهما من هول مايريان وراحت العباءة تصنع خيمة مانعة حول هدى وهداية كأنها تحميهما من هذه القوى العتيدة التى تكاد تعصف بهما . بدا «الفارس النادر» كأنه يود أن يمسك بشبح رهيب يكاد يقترب منه وأنه يتمنى لو افترسه .

تشبثت قدماه بالقارب الذى اهتز بعنف فوق الموجات



المتلاحقة التى تضرب بعضها بقوة ونادى بأعلى صوته :

ـ أيها الثعبان . . أنا فى انتظارك . .

وكأنها كان يأمره أن يظهر له على وجه السرعة . فجأة برز من بين الأمواج حيوان غريب الشكل ، قوى البنيان ، إنه ثعبان المياه المضطربة ، به مئات الخطوط السميكة ، ورأسه تحولت إلى هيدرا ذات ألف رأس تطلق سمومها فى كل ممكان، ويمكنها أن تبتلع كل هذه المياه فى رشفة واحدة ، بدا شكلها مخيفا . وراحت تهز رؤوسها فى كل النواحى كأنها تستعرض عضلاتها . وسرعان ماراحت تتكلم من عنقها الطويل :

ـ يابنى البشر لقد جئتم إلى مصيركم . . فساء ما اخترتم من مصير .

واستل «الفارس النادر» سيفه الأسطورى الضخم ، وراح يشهره فى وجوه ثعابين الماء وصاح :

ـ سيفى النبيل فى انتظار رقابك الشريرة . .

(٣٣)

سرعان ماتمدد السيف ، وانطلقت حافته الحادة ، لتصبح ذات ألف نصل ، ونصل . وامتدت أطرافه تقترب من ثعبان الماء

الشرس ، وانتشرت حواف السيف الخارق وهى تهتز بشكل تلقائى كأنها تستعـد لنزع كل هـذه الرؤوس من أعنـاقها و إلقائهـا فى المياه لتصبح طعاما لذيذا لبقية سكان المتاهة البحرية .

تراجع ثعبـان الماء بسرعة إلى الخلف وحاول أن ينفـث سمه من ألسنته المتعددة كى يدافع عن نفسه بعد أن أحس أن معركته خاسرة لامحالة ، لكـن هذا السيف أصابـه بالعجز فلم يعـد بقادر على أن ينفث سمومه ، قال وهو يرتجف من فتحه فى عنقه :

ـ الطيب أحسن . وكفانا شر القتال . .

اندفـع السيف كأنـه منشار كهربـى تدور حوافـه ويمكنها أن تقطع غابة كاملة من رقاب الثعابين ، قال «الفارس النادر» :

ـ لم نأت هنا لقتال . . ولكن كى نبحث عن البهجة . .

انكمشت رؤوس ثعبـان الماء داخل جيب جلدى ولم يبـق منها سوى رأس واحدة ، وجاء صوت الثعبان :

ـ بهجـة . . يامـرحبا . . إنها مـوجودة لـدينا . . سـاخنة . . وجاهزة . . تفضلوا . .

فى تلـك اللحظـات بـدأت الأمـواج تنحسر ، وراحـت السماء تصفو . وبدأت العباءة ، تنسحب من حماية هدى وهداية اللذين شاهدا منظرا بديعا . هنا قال الفارس النادر :

ـ نحن نبحث عن البهجة . وليس عن مشروب ساخن . .

تراجع الثعبان للخلف ، وهو يرى حدود السيف تتوقف عن الدوران وتعود إلى حالتها الأولى ، وتصبح نصلا واحدا . قال الثعبان الضخم :

ـ كله موجود . . الجميع فى انتظارك . . إنهم فى المتاهة السابعة والتسعين . . ينتظرون على أحر من الجمر ؟

سأل هداية : من ؟ . .

رد الثعبان : الديناصور المجنون ، والماموث الحزين ، والبيلوسيد المهزوز ، جميعهم فى الانتظار . إنهم يدعونكم على حفل استقبال رائع . . اشهى أطعمه ومشربات البحر . .

أحس «الفارس النادر» بأن هناك شيئا ماوراء هذا الثعبان الضخم ، فهو لم يتحول إلى كائن لطيف الأخلاق ، إلا بعد أن كادت رؤوس السيف أن تشطر رأسه إلى آلاف القطع .

تمتم قائلا :

ـ أشعر كأن «الشبح الأزرق» قد تحالف معه . .

(٣٤)

واندفع الزورق الصغير ينطلق خلف ثعبان الماء الضخم فى

متاهات المياه التى لاتكاد تنتهى . وشاهد الصغيران كافة الحيوانات والكائنات البشرية التى انقرضت من فوق سطح الأرض . إنها تعيش هناك سعيدة يود بعضها لو يهاجم البشر القادمين من الأرض ، لكنهم كانوا فى حماية ثعبان الماء أو كأن هذا الأخير واقع رهينة بين ايديهم . .

حاول الفارس النادر أن يفتش عن «الشبح الأزرق» ، لكنه لم يجده . واشتدت دهشته ، فقد بدت الأمور كأنها غير طبيعية ، فهذه أول مرة يغيب هذا الشرير عن العيون طوال رحلة طويلة كهذه ، أحس الفارس النادر أن عليه أن يظل يقظا ، وألا ينسلخ ليصبح عجوزًا ، قبل أن تحسم هذه المواجهة المنتظرة بين لحظة وأخرى .

وأخيرا وصلوا إلى المتاهة السابعة والتسعين . .

وكان الاستقبال جامدا وباردا . فرغم ان وحوش ماقبل التاريخ قد ارسلت من ينوب عنهم إلى هذا الحفل الغريب فإن المنظر كان يشبه حدادا على شىء لايعرف أحد ما هو بالضبط ولا متى مات ولاكيف .

التفتت هدى إلى أخيها وقالت :

ـ أنا لست مندهشة . . أنهم أقرب إلى الدميات التى نراها فى

أفلام سيلبرج . .

حاولت أن تلمس جلد الديناصور لكن الفارس قال :

ـ حذار . إنهم أحياء . . لاداعى ، وإلا اعتقدوا أننا نسخر منهم . .

ثم التفت إلى الثعبان وسأل :

ـ ماذا بهم ؟

رد ثعبان الماء : إنهم لايحسون . .

كان هذا المشهد المهيب يدور فوق صفحة المياه ، وقد افترش كل منهم قاربا مطاطيا ضخما راح يطفو به فوق المياه ، وقد صنعوا دائرة كبيرة فى وسطها عديد من الصوانى المطاطية فوقها ألذ وأشهى الأطعمة الساخنة . . قال« هداية» :

ـ كم أنا جوعان ! !

تدخل الفارس : انتبهوا . . قد يكون فى الأمر مكيدة . .

هنا ، ودون أن يتوقع أحد ظهر «الشبح الأزرق» . بدا مهيب الشكل ، وهو يفرد عباءته الداكنة وراح يشير إلى الفارس النادر ورفيقيه وقال :

ـ ايتها الحيوانات المنقرضة . . هذا هو عدوكم اللدود . . الإنسان . . وهو الذى سرق منكم لحن الوجود . .

(٣٥)

وزمجرت الحيوانات المنقرضة معـا ، وأشارت جميعها إلى الفارس النادر :

ـ هذا الرجل . . اقبضوا عليه . .

قال «الشبح الأزرق» : اقتلـوه . . ولاتصدقوا كلامـه . . فهو معسول اللسان . .

ووجـد «الفـارس النـادر» نفسه فى مـوقـف حـرج ، ليـس لأن الوحوش المنقرضة قد أحاطت به فجأة تريد أن تفترسه ، ولكن لأن عليه أن يكسب كـل هذه الكائنات إلى صفـه . التفت إلى الثعبان الذى أحس بسعـادة غامرة وكأنـه قد قرر أن ينتقم مـن الوحش . هنا تدخلت هدى :

ـ أيتهـا الوحوش . . لقد جئنـا نبحث عن البهجـة . . ونحن البهجة . .

لكن صوت هدى ضاع فى الفراغ . هنا رمى لها الفارس بمكبر صوت صغير وصاح :

ـ إلقى عليهم شعرا . بسرعة . .

وارتبكت الصغيرة ولكن مهابة الموقف دفعتها أن تتماسك . بل أن تسترجع من الـذاكرة بعضا مما حفظتـه من شعر عربـى جميل ، صاح الفارس :

ـ اقرئى شيئا . . لأحمد شوقى . .

هنا بدت الصفرة فوق ملامح «الشبح الأزرق» وصرخ :

ـ امنعوا هذه الفتاة أن تتكلم . . أنا أعرفها . . امنعوها . .

لكن هدى كانت قد تماسكت تماما وامسكت بمكبر الصوت وراحت تنشد الشعر مع أخيها وقد اكتسبا ملامح ملائكية طاهرة :

لنا وطن بانفسنا نقيه وبالدنيا العريضة نفتديه

إذا ماسيلت الأرواح بذلناها كأن لم نعط شيئا

وساد المكان هدوء غريب ، بينما تلاشى «إلشبح الأزرق» من المكان ، فإن الديناصور راح يهز رأسه من النشوة ومد يده إلى بعض الأعشاب النباتية الموضوعة فوق المائدة المطاطية وراح يلتهم منها . بينما ردد الماموث :

ـ من فضلكما اكملا . . الشعر غذاء الروح . .

هنا بدت الذاكرة خصبة ، وأحس هداية وهدى أنهما يمكنهما أن يلقيا كل القصائد الجميلة التى حفظاها عن ظهر قلب من الشعر العربى القديم والحديث ، بل وأيضا الشعر العالمى الذى كتبه الشعراء فى مختلف العصور . قال هداية :

ـ سوف نقول شعرا للمصعرى . .

لكن الفارس صاح :

ـ لا . . لن نلقى شعرا . الا بشروط . .
و بدا كأن الأمور قد تغيرت . .

(٣٦)

أحس فريق الحيوانات المنقرضة بأنهم خرجوا ثانية إلى الأرض أن أهم مايميز الحياة فيها ليس أن سكانها من البشر يفكرون . لا ، ليس هذا فقط فالبشر يفكرون فى الخير والشر ولكن أيضا لأن هؤلاء البشر يبدعون . . فالإبداع هو أساس البهجة فى الحياة وهو الدليل الأكيد أن بنى البشر مخلوقات طيبة حالمة ، تنشد المثالية مهما تعاظمت قوى الشر والظلام .

ولذا ، فعندما سمع فريق الحيوانات المنقرضة القصيدة ارتجفوا ، وتنبهوا أن هناك شيئا جميلا فى تلك الكلمات يبعث على صفاء النفوس . وسرعان ماامتدت الأيدى إلى الأطعمة وبدأت الوليمة الحقيقية . لكن عندما طلب «الفارس النادر» من الصغيرين ألا يستكملا إلقاء الشعر كان يخطط لهدف آخر .

صاح أحد حيوانات العصر الحجرى :

ـ لماذا أيها الفارس . . ؟

رد الفارس النادر : لأنه فى هذه المتاهة الجميلة يوجد خائنون

. . يساعدون المملكة الزرقاء . .

وراح يبحث عن ثعبان الماء ، الذى كـان قد اختفى تماما مثلما فعل «الشبـح الأزرق» قبل قليـل . . هنا ، هـز «الفارس النـادر» رأسه وقال :

ـ معذرة . . لقد فهمت خطأ . . سوف نسمع أحلى الشعر . . وستكون هذه أجمل الأمسيات .

وكانت بالفعل أجمل الأمسيات التى عرفتها متاهات المياه . فقد تنافس كل من هدى وهداية طـوال ساعات طويلة من أجل إلقاء أحلى القصائد ، واشهـرها ، وكـانت كـل قصيدة جـديدة تلقـى استحسانـا أفضل من سـابقتها ، مما دفع بـالحيوانات الأسطـورية المنقرضة أن تطلب المزيد .

وعندمـا قرر الصغيران أن يتوقفـا ، كان العجوز قـد اتخذ هيئته الأولى ، وقرر أن يفعـل شيئا مـن أجل كسـب ود سكان المتـاهات المائية . .

فقد أخرج من مخلاه البيضاء كـل مايمكنه أن يترك من دواوين شعـر كتبها الأقـدمـون والمعـاصرون وحرص ان يترك أيضـا جهـاز تسجيل أنيقا يمكنه أن يلقى أحلى القصائد بـلا توقف . ثم طلب الإذن بمغادرة المكان . . إلى حيث رحلتـه الأخيرة . . فى بلاد النار . . والمتاهات المشتعلة . .

(٣٧)

سـألت هـدى، وقـد وصل الـرفـاق الثـلاثة أخيرًا إلى أطـراف المتاهات المائية :

ـ لكن أخبرنى لماذا لم تتخلص من الثعبان المنافق ؟

ابتسم العجوز وكأنه كان يتوقع مثل هذا السؤال . ثم قال :

ـ هل تعرفان ماذا تعنى البهجة . . ؟

هز هدايـة رأسه بالنفى . ثـم فجأة تدارك شيئا وتنبـه أنه يعرف الإجابة فقال :

ـ طبعـا . . البهجة هى أن يكـون الآخرون سعـداء وأن تشارك أنت فى صناعة هذه السعادة . .

زم العجوز شفتية وراح يحرك أصابعه دليل الاستحسان وقال :

ــ رائع . . هذا هـو . . البهجة نصنعهـا نحـن للآخـرون . . القادر لغير القادر . إذا ملكت المال ووزعت منه على المحتاجين ، إذا اعطاك الله الموهبة فاسعدت بها الآخرين الذين لايملكونها . .

هنا تذكرت هدى موقـف «الفارس النادر» وأيضا العجوز د الرحلة فقد كان قادرا على ان يتخلص من الثعبان بضربات ه من خـلال هذا السيف ذى الأطـراف المنشارية ، لكنـه لم يف فهو محارب نبيل ، ولايميل إلى الدماء ، والعنف ، وأحست .

أنــه طوال الـرحلة كــان يسعــى لخلق البهجــة والسعادة فى قلـوب حراس المتاهات المختلفة ، متاهة الصخر ، ومتاهة الآبار ، وأيضا المتاهة المائية التى خرجوا منهـا منتصرين يصحبهـم حوت ذو ثلاثة ذيول انقرض منذ زمن طويل ، راح يستـودعهـم عند أطراف المتاهة قائلا :

ـ قلبى معكـم . . فأنتم ذاهبون إلى متاهة . . لاترحـم . .

أحس العجوز أن الحوت قـد تسرع ، فلاشك أن تحذيراتـه هذه تبـث الخوف فى قلبى الصغيريـن . وهـم يستعـدون للدخـول إلى المتاهات المشتعلة .

قال العجوز :

ـ الـذين لايجيـدون السباحـة يخافون مـن البحار . . والخوف موجود دائما .

ثم تمتم قائلا :

ـ لتكن بردا وسلاما على قلوبنا . .

إنه يحس أن النيران لايمكن أن تأكل مؤمنا بقضيته ، ورغم ذلك كان قـد اعد عدتـه للدخول إلى دروب المتـاهات السـاخنـة . فقد أخـرج من مخلاه بعـض الملابس الشفـافة ، دفـع بها إلى الشقيقين هداية وهدى وطلب منهما ان يلبساها مرددا :



ـ انها عازلة للسخونة . .

عند هذا الحد كان الصغيران قد اكتسبا مناعة ضد المخاطر ، فإى شخص شاهد ماحدث من تلك المتاهات التى اجتازوها فلابد أن يثبت قلبه ولابد له أيضا أن يثق فى الطريقة التى يعالج بها الأمور . .

لكن ، مهما كانت المناعة ، ومهما كانت الثقة فى النفوس فإن الخطر ماثل وبالغ الجسامة ، بعد ان تم الاتفاق بين «الشبح الأزرق» والرأس المشتعل على أن تكون المتاهة المشتعلة هى آخر مكان يراه الفارس النادر فى حياته .

(٣٨)

عندما دخل «الشبح الأزرق» المتاهة المشتعلة ، بدا كأنه ملك متوج وأجريت له مراسيم استقبال رسمية وذلك لمكانته المرموقة فى هذه الدروب الملتهبة . وكان على رأس كل المستقبلين له « الرأس المشتعل » . الذى تم تعيينه أخيرا كعقل مدبر لشئون المتاهات والذى صاح مهللا وهو يستقبل ضيفه :

ـ أهلا . . صاحب السمو . . المورد الرئيسى للوقود لمتاهتنا . .

ورغم أن الشبح الأزرق لم يبتسم قط فى حياته فإنه أحس

بغبطة شـديدة وانتعـش كأنه الطـاووس وأحس أن مهمتـه فى هذه المتاهـات سيكون سهلا . لـذا قال مـن خلال الشاشـة التى على صدره :

ـ أرى أن درجات الحرارة لديكم منخفضة اليوم . .

هز « الرأس المشتعل » رأسه الذى يتأجج من النيران ،وقال :

ـ هذا حال الدنيا . . نحن فى حـاجة إلى معونتك . . أرسل لنا الوقود . والحرارة تزداد . .

بـدا كـأن «الشبـح الأزرق» يتحسس درجـة الحرارة فى المتـاهـة وقال :

ـ حسن . . استبشر فـالوقود قادم إليكم خلال سـاعات قليلة . . إنه وقود ذو طاقة عالية . المهم أن تعرف كيف تتعامل معه .

قال «الـرأس المشتعل» : اطمئن . كـل شىء قابـل للاحتراق . . هنا . . بمجرد دخوله بوابة المتاهة . .

ثم راح يسـأل ضيفه عما يقصد بـالضبط . . لم يشـأ الشبح أن يتكلـم بل راح يعطـى مـلامح هـذا الضيـف القـادم على طريقـة التمثيل البانتـوميم . هنا تنبه «الرأس المشتعـل» أن الأمر جسيم . وقال :

ـ إنه واحد من مدينة الحكايات . هذا أمر خطير . .

لم يشأ « الرأس المشتعل » أن يتدخل فى خصومه مع «مدينة الحكايات» . فهو يعرف أى خطر بحيق بأحد أبنائها فوق متاهة ، فإنه كفيل أن يدفع جيوش أبطال الحكايات إلى محاصرة متاهته وليس من المستبعد أن يعلنوا الحرب عليهم . . ويالها من حرب . .

أراد أن يرفض لكن سرعان ماتدخل «الشبح الأزرق» . وقال :

ــ هذا ليس طلبا . . بل أمر . . ألقوا بالفارس فى المراجل المتأججة . . وحذار أن تدلهم على لغز البهجة .

ولم يكن أمام « الرأس المشتعل » أى خيار . .

(٣٩)

بدأ العمل على قدم وساق وبهمة منقطعة النظير .

فقد راح العجوز يقوم بتوصيل أنابيب البلاستيك الشفاف بعضها ، قطرها يبلغ النصف متر . لم يسأل الصغيران عما ينوى أن يفعل بالضبط . لكن بدا كأنه يدبر شيئا ما .

وبعد ساعات من العمل الشاق قال العجوز :

ـ أخيرا .

قال هداية : إنها لعبة مثيرة . .

قال العجوز : كل شىء يبدأ باللعب . واللعب دائما مفيد . سوف ترون .

كان قد اطمـأن أن الخطة قد أعدت بشكـل جيـد ، وأن عليهم الآن أن يدخلوا المتاهة المشتعلة ، التـى أصبحت قيد أمتار منهم .
أشار إلى رفيقيه وقال :

ـ هل يصدق أحد أن هذه المتاهة هى فى أدنى بقاع الأرض . . إنها فى مركز الكرة الأرضية ؟

كانـت هدى وأخوهـا يعرفان أنه حسـب التركيب الجيولـوجى للأرض ، فكلما توغلنا فى أعماق الأرض اشتدت درجة الحرارة ، وإن سطـح الأرض الصلب كـان فى بدايـة الخليقة بمثـابة مـواد سائلـة محترقة جفت على مر ملايين السنين ، وأصبحت بالشكل الذى يراه الناس عليه . ولـذا فقد تركوا المتاهة المائيـة ونزلوا إلى أعماق الأرض الملتهبة بعد أن اتخذ حيطته .

وما إن دخل من باب المتاهة الملتهبة حتى أحست هدى برعشة وقالت :

ـ لم أحب النار يوما . .

كان العجوز يتوقع مثل هـذا الأمر ، فأمسك بيديها ، وسرعان ماتسربت رطوبة ما فى أوصالها وقال :

ـ لم يطلب منـك أحـد أن تحبى النـار . بـل أن تتعاملى معهـا بذكاء . . هل فهمت .

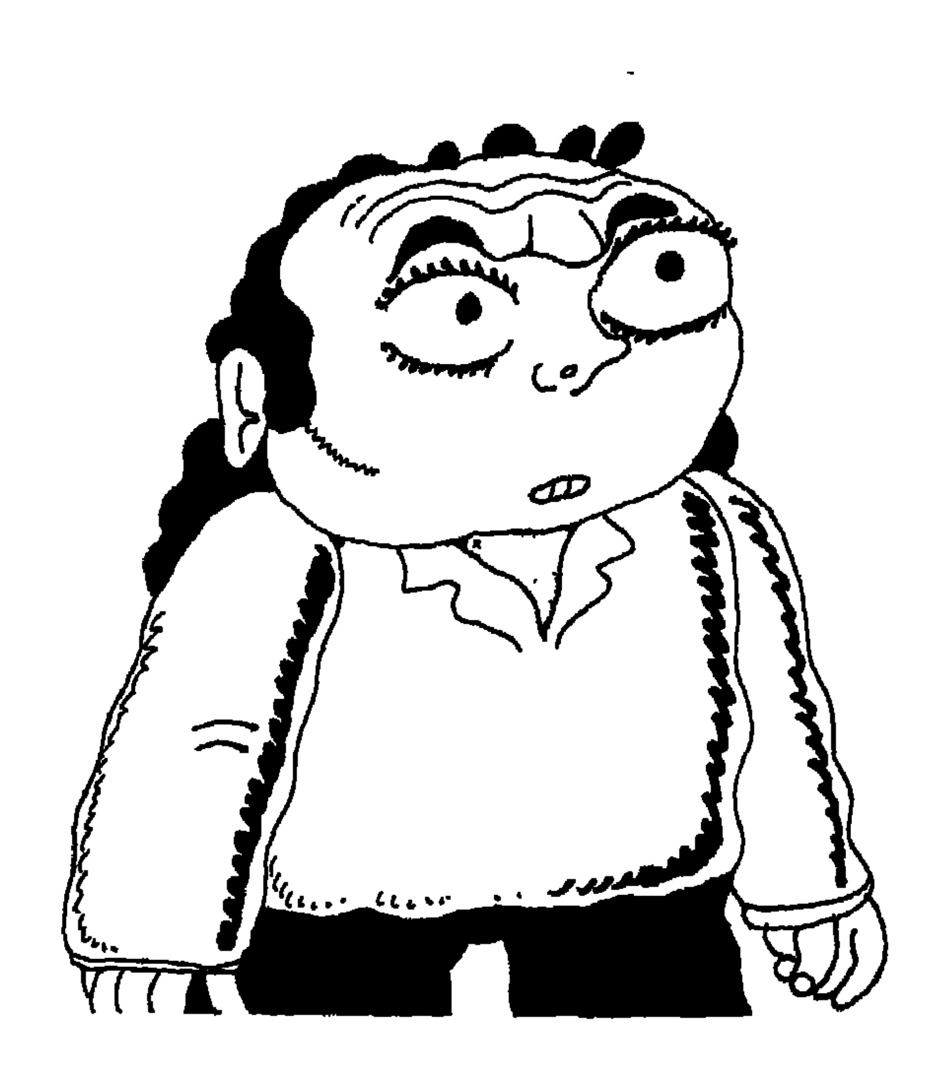
وبيده اليسرى امسك هداية الذى أحس باطمئنان شديد لكن، هنا ظهر مالم يكن فى الحسبان ، إنه المارد المتوهج دوما الذى تنطلق النيران من كل فتحات جسده . . . وكأنها سوف تشعل المكان من حولها . صاح «هداية» قائلا :

ـ انظر . .

اندفع المارد المتوهج نحوهم ، وقد أطلق ألسنة من اللهب المتعدد الألوان ، وبدا كأنه سوف يهجم عليهم ويشعل فيهم النيران . . لكن وبسرعة البديهة التى يتميز بها ، سرعان ما انتفش العجوز وتحسس سيفه الذى يظهر توا عندما يتحسس مكانه، ثم راح ينزع عنه ملابس العجوز وألقاها بعيدا ، فالتهمتها النيران بينما وقف هداية وأخته يرقبان مايحدث ، فهاهى المواجهة قد بدأت لتوها فى المتاهة . وهاهو «المارد المتوهج» يقفز بجسمه الضخم على خصمه الذى صاح محذرا الصغيرين :

ـ ابتعدا بسرعة .

ودفع السيف فى بطن المارد الذى قفز عليه كأنه يريد أن يشعل فيه النيران ، كانت الضربة بالغة القوة ، لكنها لم تكن بذات فائدة فالسيف لايشطر النيران أبدا .



(٤٠)

وسقـط الاثنـان فـوق الأرض وارتمى السيـف بعيـدًا . إنها المرة الأولى بالتأكيد التى يسقط فيها سيف الفارس منه .

لكنه سرعان ماتماسك وقفز فوق الأرض المحترقة وراح يتوقع أن يهاجمه خصمـه مجددا، بينما اندفـع هدايـة نحو السيـف يحاول أن يلتقطة ، هنا صاح« الفارس النادر» :

ـ لاتلمسه .

لكـن كان المارد المتـوهج أكثـر سرعـة ومهارة، فقـد قفز نحـو السيـف محاولا أن يمسكـه بـأطـرافه المتـوهجـة ، ومـا إن أمسـك بالسيف حتى حاول أن يرفعـه ليضرب به خصمه ويتخلص منه . وارتسم الفزع فى الأعماق ،لقد فقد الفـارس سيفه ، وهاهو خصمه قـد تمكـن منه، ومـاهـى إلا لحظـات ويصبح كـل شـىء فى خبر «كان» .

ولكن ما إن رفـع المارد المتوهج بالسيف محاولا أن ينـزل به نحو «الفارس النادر» حتى أطلق صرخة عالية اهتزت لها أركان المتاهة . رمى بـالسيف فـوق الأرض وكأن حـريقا أصـابه ، بـل كأن بـرودة شديدة سرت فى كيانه المتوهج . وقال :

ـ النيران ! !

وبكل مهارة استعاد الفارس سيفه ، ورأى خصمه يتلوى أمامه وكأنه يستعد للذوبان فغمس فيه السيف ، وهو يعرف أن النيران لايشطرها شيء ، لكن شيئا ما اندفع من طرف السيف كأنه بخار جليدى جعل المارد ينكمش ويقل توهجه ، وتخبو نيرانه وهو يردد متوسلا :

ـ أرجوك . . لاتبُردنى . .

وبكل قوة وعزيمة استكمل الفارس مهمته . ولكن توسلات المارد الذى كاد أن يصيح فزعا ازدادت ، وضعف صراخه قائلا :

ـ أرجوك . . لاتبردنى . . وأعدك أن أساعدك . .

وسحب الفارس سيفه وهو ينظر إلى المارد المسكين الذى لم يعد متوهجا ، وقال وهو يئن :

ـ آه . . كم هى مؤلمة . . البرودة . . إنها قاتلة . .

اقترب هداية من القزم الذى كان ماردا وقال :

ـ نحن نبحث عن البهجة . . إنها هنا .

وهز القزم رأسه بالنفى ، فازدادت الحيرة .

(٤١)

ترى ماذا يحدث ؟ . من المفروض أن هذه هى المتاهة الأخيرة ،

وأن البهجة موجودةفى هذا المكان، لكن الأشياء هنا حزينة ، والأنين عال . وهذا أنسب مكان لقتل البهجة ، بعد تحويلها إلى رماد . . سألت هدى :

ـ وصلتنا الأخبار أنها هنا . .

وقبل أن تستكمل هدى كلامها جاء صوت أجش ملئ بالمهابة يردد :

ـ يالها من خمسة ، أن تبتز قزما لاحول له ولاقوة . .

والتفت الثلاثة إلى « الرأس المشتعل » ، بينما ردد القزم :

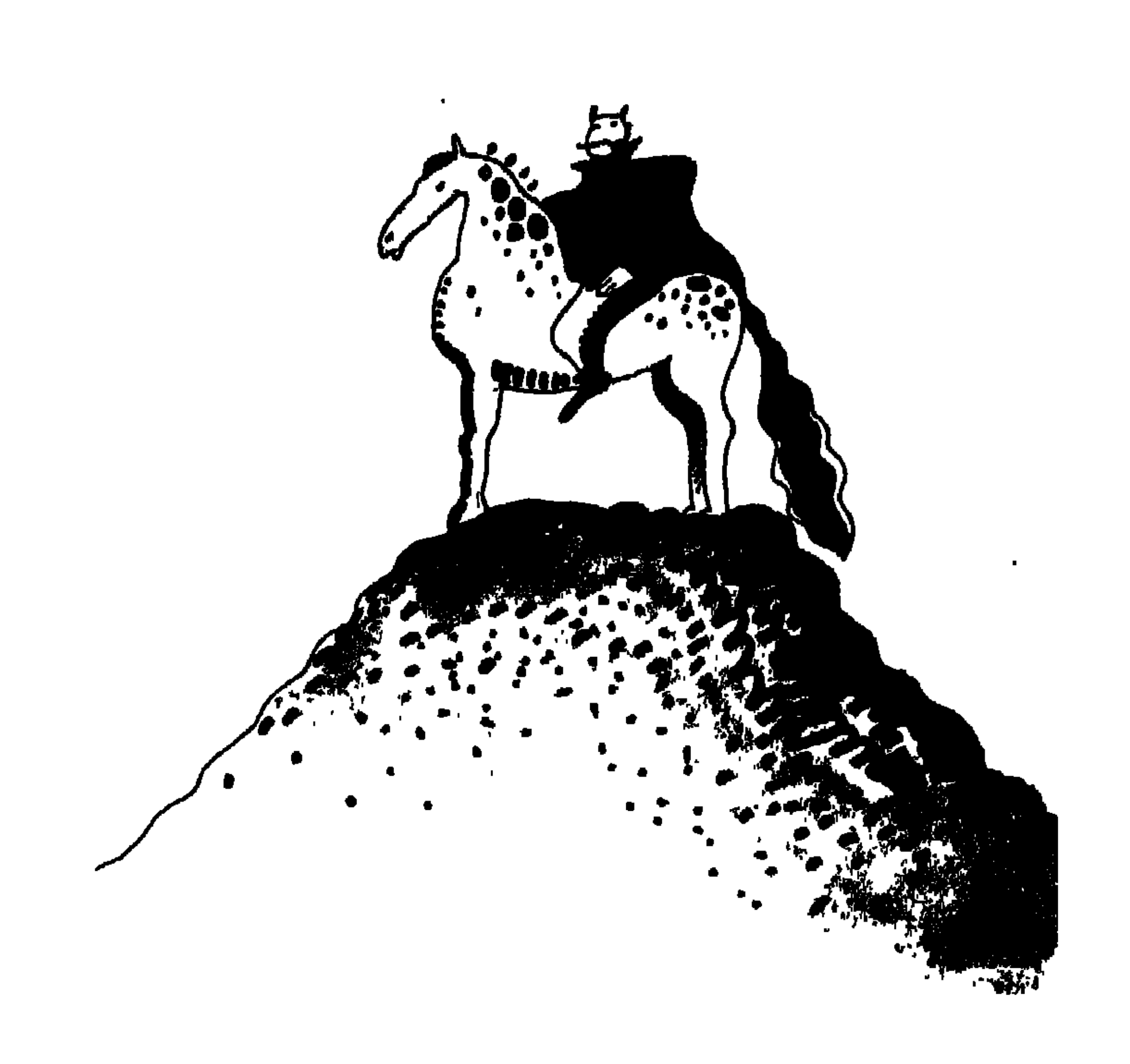
ـ الجوبارد . . وأنا انكمش . .

وسرعان ماراح الفارس النادر يشهر سيفه نحو خصمه الجديد ، وكأنه يعرف ألاعيبه جيدا ، ضحك « الرأس المشتعل » قائلا :

ـ أنا أعرف هذا السيف جيدا . . إنه منشار . ومبرد . . وبطارية شحن . . وأشياء كثيرة . . لكن من الواضح أنك لاتعرف « الرأس المشتعل » . . هل تعرفنى ؟

وبكل ثبات وثقة فى النفس، رد « الفارس النادر » :

ـ أنت من لايهزمه أحد . . حتى الأقوياء . . ولايقترب من متاهتك إلا الأشرار ، الآن سوف تندم على اليوم الذى رأيتنى فيه . .



وأخـرج موجهـا صغيرا ، مـا إن رآه « الـرأس المشتعل » حتـى صاح :

ـ لا . أرجوك . . إلا هذا . .

كان يعـرف أى خطر يكمن وراء هذا « الموجـه » إذا داس عليه الفـارس النادر ، فخـلال دقـائق قليلة يمكـن للمتـاهة المائيـة أن تصب مياهها الغزيرة فـوق الأرض الساخنة ، وخلال دقائق قليلة ينطفئ اللهب . وتغرق المتاهة بالمياه . . ردد الفارس النادر :

ـ عند المواجهة . استخدم أقوى اسلحتك .

رد « الرأس المشتعل » : ونحن ضعفاء أمام المياه . .

قال الفارس النادر فى تحد : ليس لى سوى طلب واحد . .

رد الرأس المشتعل :

ـ صعب . . إجابته صعبة . . لقد أخذها وذهب . .

سأل الفارس النادر فى دهشة : من . . الشبح الأزرق ؟

(٤٢)

انطلـق « الشبح الأزرق » فى دروب المتـاهة المشتعلـة ، حامـلا صندوقا ثمينا به أغلى شىء فى الـوجود ، محاولا البحث عن طريق للخروج . . وهو يردد لنفسه :

ـ فليأخذوه . . فوق أشلائى . .

لم يكن يعرف الدروب جيدا ، ولكن حالة من الهوس أصابته ، دفعته أن ينطلـق وحده فى مسالك المتـاهة المشتعلة ، حتـى يضلل خصمه اللدود بـأى ثمن . وألا يلحق به مهما كانت مهـارته . فهو لايود أن يجابهه ، لأنـه يعرف حدودقوتـه ، ولذا فإن أفضـل شىء بالنسبة له هو أن يطلق عليه من هم أقوى منه وأشد بأسا .

كان يعرف أن الرأس المشتعل يمكنه بدوره أن يسلط أتباعه من أبناء المتاهة ، كى يواجهـوا الفارس النادر ، ويتخلصوا منه فى لمح البصر ، لكنه لم يكـن يعرف أن الأمـور الآن فى زمام الفـارس الذى راح يهدد بأنـه سوف يفجر الممـر الموجود بين متـاهة المياه والمتـاهة المشتعلة وأنه يستطيع أن يفعل ذلك بسهولة شديدة .

بدا «الرأس المشتعـل» فى أضعف حالاته وأحس بـالهزيمة وهـ واقع تحت سيطرة الفارس ، حاولت استمالته وقال :

ـ صـدقنى ، نحـن لانتدخـل فى أمور الآخـرين ، فكفـانا مـ أصابنا . . والشبح الأزرق هو الذى جاء بصندوق البهجة ليخفيه هنا تحت الرماد المتحرك . . أظنه الآن سيلقى بالصندوق هناك .

وفى انزعاج شديد تساءل الفارس :

ـ ماذا تقول . . الرماد المتحركة ؟

واهتزت الرأس المشتعلـة مؤكدة على مايقول صـاحبها . أحس الفارس النـادر أن الأمر بـالغ الجسامـة ، فلو أن الصنـدوق سقط هناك فى هذه الـرماد المتحركة فـإن أحدا لن يمكنه إخـراجه أبدا . وسرعان ماسوف يذوب وسط النيران المتأججة فى هذه الرماد الخطرة . صاح :

ـ يجب أن نلحق به . .

واستعد لأن ينطلق داخل المتاهة ، لكن «الرأس المشتعل» راح يعترضه قائلا :

ـ ممنوع أيها الفارس . . وأنت تعرف التعليمات . .

وتراجع فجأة، فهو يعـرف أنه عند التعليمات فإن على« الرأس المشتعل» أن يمتثل ، حتى وإن دفع حياته ، وأصاب كلا من هدى وهداية التساؤل عن حقيقة مايحدث . . قال هداية :

ـ أفضل شىء . أن تدوس على زر المياه . .

تأججت النيران فى «الرأس المشتعل» وقال :

ـ أيها الصغير . . نحن لانحب الأفكار الشريرة . .

وبدا الموقف معقدا للغاية .

(٤٣)

سأل الفارس النادر :

ـ هات ماعندك أيها المشتعل . .

رد «الرأس المشتعل» : لا أحد يمر من هنا إلا إذا دفع الضريبة . . هذا أولا . .

قال الفارس : نحن لاندفع جباية . ولانتعامل بالنقود . .

قال «الرأس المشتعل» : ونحن أيضا لانعرف مسألة النقود . . أنت تعرف .

ثم أشار إلى الصغيرين . ارتبك الفارس . ترى هل يود« الرأس المشتعل» أن يأخذ أحد الصغيرين أو كليهما كي يفتح له الباب للحاق بالشبح الأزرق قبل أن يلقى بصندوق البهجة فى الرماد المتحركة . اعترض قائلا :

ـ الصندوق ملك لهما ، ولمدينتهما . ولايمكن . .

ولأول مرة تنفرج الابتسامة على وجه «الرأس المشتعل» وقال :

ـ أيها الفارس . لقد فهمت خطأ . . ليس هذا ما أقصد . . سوف يأخذان البهجة ثم يعطياننا جزءا منها . .

تنهد الفارس بارتياح وفهم مايقصده «الرأس المشتعل» ، والتفت إلى الصغيرين ، وقال وهو يبتسم :

ـ إنـه يطلـب منكما أن تـدعـواه إلى الحفـل . . لـو استعـدنـا الصندوق . .

قال هداية :

ـ كل مـن قابلناهم فى هـذه الرحلة سيكونـون ضيوف شرف فى المهرجان . .

واهتز «الرأس المشتعـل» فرحا ، وانفرجت شفتـاه الواسعتان ، وبدا أشبه بطفل صغير يمسك قطعة من الشكولاته اللذيذة فى يده وقال :

ـ رائع . . هذاه أول مرة أكون ضيف شرف فى حياتى . .

علقت هدى : وسوف نمنحك درع الموهوبين . .

ابتسم أكثر وردد : ياحلاوة . . خذ هذه . .

ومد بمرآة ساخنة صغيرة للفارس . وهو يقول :

ـ هذا هو الأمر الثانى الذى وددت أن أحدثك به . . طالما أننى سأصبح ضيفا عليكم . .

وأمسك الفارس المرآة الساخنة ، وهو يتساءل :

ـ ترى ماذا تكون بالضبط . . ؟

(٤٤)

الآن ، على «الفارس النادر» أن ينطلق بكل مـايملك من قوة ، وعزيمـة داخل دروب المتـاهة ، بعد أن تـرك الصغيرين فى رعـاية «الرأس المشتعل» الذى طلب منهما ان يحكيا له أجمل القصص التى يعرفانها .

إنها مسألـة وقت . بل هى مسـألة مصير بالغ الحسـاسية ، فما يدور الآن مرتبط بمصائر أبناء مدينة بأكملها ، انهم الذين يقتتلون الآن فيما بينهم ، وخلال دقائق يمكـن للحرب الأهلية أن تعلن فى مدينة «البسمة » وسوف تكون حربا ضروسا بعد أن فقد الناس كل ما لديهم من بهجة وسماحة ، واستعـدوا ليحولوا كل أدوات منازلهم وأى شىء يقابلونه إلى أسلحة يقتتلون بها . .

لاشك أن هذا سوف يسبـب السعادة لهذا الشبح الأزرق الذى يقترب الآن من شفا الحفرة العالية التى تقع أسفلها الرماد المتحركة .

ردد الفارس وهو ينطلق بكل سرعة :

ـ لا أعرف كيف كان لى أن أتصرف دون هذه المرآة . .

راح يستخدم المرآة الساخنة على أفضل مايكون ، إنها المرآة التى استطاع ان يرى فيهـا بعض مما يدور فى المدينة ثـم أمكنه ان يعرف الدروب الملتهبة التى اخترقها الشبـح الأزرق كى يصل إلى هدفه ،

إلى الرماد المتحركة . .

ويفضل هذه المرآة استطاع أيضا ان يختصر طريقه داخل هذه المتاهة المتشابكة ، وخرج أخيرا إلى أول الطريق المؤدى إلى الحفرة العالية التى وقف عندها الشبح الأزرق ، وقد أحس بنشوة عارمة ، وأمسك بالصندوق وراح يتمتم :

ـ الآن ، وداعا إلى الأبد . . يامن أكرهك بلا حدود . .

أحس فى أعماقه كأنه يود أن يرمى بالصندوق إلى القاع . وأراد أن يطيل من متعته ، فصحيح أنه لو رمى بالصندوق إلى مصيره الأبدى ، فإنه سيشعر بسعادة ما ، لكن هذه السعادة لن تستمر طويلا مثلما هو ممسك بها الآن . لذا أحس بالحيرة ، فهل يرمى بالصندوق الذى حبس البهجة فى داخله ؟ أم يبقيه معه بعض الوقت قبل أن يقذف به إلى الرماد المتحركة ؟هنا سمع صوتا يناديه :

ـ أيها الشرير . . لاتفعل من فضلك .

التفت خلفه ورأى خصمه الأبدى ، «الفارس النادر» ، إنه يمتدحه حين ناداه بالشرير . . لكنه يغيظه بلاشك حين يقول «من فضلك» .

ضم الصندوق إلى صدره . وراح يفكر . إنها لحظة النصر ، قد

جاءته أخيرا . ولاشك أن « الفـارس النادر » يحس الآن بالهزيمة ، وسوف يكسر قلبه ، لو رمى بالصندوق . كشر الشبح الأزرق عن أنيابه البارزة وقال :

ـ أيها الفارس ستأمنعك أن تتدخل فى شئونى للأبد . . هه . . وألقى بالصندوق فى الفراغ . . نحو الرماد المتحركة . .

(٤٥)

. صرخ الفارس بكل مالديه من قوة :

ـ قلت لك لاتفعل . . من فضلك . .

وكان الخطـاف الذى ألقاه أسرع مـن كلماته حيث انطلـق بكل قوة نحو الصندوق المندفـع فى الفراغ هاويا إلى الأعماق نحو مصيره الأخير، واندفع الخطـاف يبحث عن طريقـه محاولا أن يلتف حول الصندوق . بينما اندفع «الشبح الأزرق» نحـو خصمه اللدود يريد أن يمنعـه من استكمال عمليتـه المثيرة ومحاولته لاسترداد الصنـدوق وهو يصرخ :

ـ اتركه أيها الوغد . . اتركه يحترق . .

لكن الصنـدوق توقـف فى الهواء بعد أن التـف الخطاف حـوله وارتد عائدا إلى أعلى حيث راح الفارس يلفه بكل قوة بواسطة الخيط

المتين الذى يـربطه ، بينما انـدفع الشبـح نحوه يسعـى أن يصطدم ببطنه ويسقطه فوق الأرض فيهوى الصندوق إلى الأعماق .

لكن الفـارس كان من المهـارة بحيث استطاع أن يمتلـك زمام الصنـدوق ، وأخـذ يديـر الخيـط ويجعلـه يلـف بكل قـوة . . ثـم اصطدم برأس «الشبح الأزرق» وسرعان ما جعلـه يفقد توازنه وهو ينطلق عند حافة الحفرة المؤدية إلى الرماد المتحرك .

وفى ثـوان قليلـة بـدأ يهوى مـن أعلى . . وراح جسـده الأزرق ينتشر فى الفضاء ، وهو يصرخ بصوت يثير التهكم . .

هنا ضـم « الفارس النادر » الصندوق إلى صدره ، وهو يتنهد . وأحس كأن شيئا ما يناديه مـن داخله أن يطلق سراحه كى يعود إلى بيته . . إلى قلوب الناس . . فى المدينة . .

رقم الايداع : ١٩٩٦/٧٨٩٣
I.S.B.N. 977 - 09 - 0344 -2

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

خيال × خيال

اقرأ في هذه السلسلة

- أبواب المستحيل الخمسة
- اختطاف قوس قزح
- الهروب من وادى الهلاك
- جسر الأهوال
- سر المتاهات العجيبة
- مغامرات النطاط العجيب